بحر أزرق.. رمال بيضاء

اسم الكتاب: بحر أزرق.. رمال بيضاء
اسم الكاتب: د. أيمن حامد
تدقيق لغوي: مصطفى حسين
تصميم الغلاف: محمد سعد الشحات
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة: الأولى – 2020 م
رقم الإيداع: 20995 / 2020
الترقيم الدولي: 978 – 977 – 6852 – 09 – 9

arabiclibrary2017@gmail.com
almaktaba79@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017
01030365801 - 01014977934

جميع الحقوق محفوظة

للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأية وسيلة، دون الحصول على إذن خطيّ من الناشر.

بحـــر أزرق..
رمـــال بيضـــاء

رواية

د. أيمـن حامـد

للنشر والتوزيع
Arabic Library

إهداء

إلى إحدى نجمات السماء

أختي الراحلة

مها حامد.

1
غرب العجمي

يجلس حاتم متحمسًا للرحلة في الحافلة الزرقاء المتجهة إلى مرسى مطروح من ميدان سعد زغلول بمحطة الرمل، حيث موقفها الموازي لفندق "سيسيل" العظيم بجوار صف من النخلات الباسقات الأنيقات، يلقي حاتم نظرة طويلة لتمثال سعد زغلول، يراه شامخًا وصلبًا، بل وشجاعًا ومفعمًا بالأمل، ينظر حاتم لبحر الإسكندرية الرمادي، ومراكب الصيد الراسية إلى الميناء الشرقي، بينما في أقصى يسار الميناء تقبع قلعة قايتباي حارسةً المدينة وأيقونتها الشهيرة، يجلس والده بجواره سعيدًا بقدوم حاتم وباقي الأسرة لمطروح هذا الصيف بعد انتهاء العام الدراسي، بينما جلست أخته سوزان بجوار والدتها خلفهما تماما، بادره والده بالسؤال:

- مبسوط؟

- جدًّا، كان نفسي من زمان أسافر معاك مطروح.

- مدينة صغيرة وجميلة، إن شاء الله تتبسطوا، عرفت من ماما إنك دخلت السينما مع أصحابك من يومين.

- آه.. فيلم عربي، طائر الليل الحزين لمحمود عبد العزيز.

- سمعت إنه فيلم كويس.

- هو عن واحد اتظلم، الفيلم بيتكلم عن مراكز القوى اللي السادات تغلب عليها في مايو 1971

أومأ والده برأسه وقال بصوت هو أقرب للهمس:

- صراعات القوى في السياسة يا حاتم لا تنتهي، المهم إنها تكون في مصلحة البلد.

هز حاتم رأسه موافقا، دائما ما يثق في آراء والده، ويشعر أنها مبنية على عقل راجح وموزون، ولا يشك أبدا في وطنيته، التي ربما كانت السبب في محبته هو الآخر لها بشكل كبير.

تتحرك الحافلة في تمام التاسعة صباحا، تستدير الحافلة غربا لميدان التحرير بالمنشية، ميدان فسيح تحوطه الأبنية القديمة أوروبية الطراز، يطل شمالا على البحر بنصب الجندي المجهول، بينما ينفتح جنوبا على ميدان آخر، في القلب منه تمثال رجل قديم يمتطي صهوة حصان يسير برشاقة، مال حاتم على والده الجالس بجواره مشيرا للتمثال، فابتسم الوالد وفهم إشاراته قائلا:

- ده تمثال محمد علي باشا.. تمثال جميل، تصدق يا حاتم ده بقى له في المكان ده مائة وخمس سنين، الخديوي إسماعيل حفيده دشنه في 1872 م

- أنا بصراحة عاجبني الحصان.

قهقه والده وقال وهو ينظر جيدا للحصان رافعًا ساقه اليمنى الأمامية، وساقه اليسرى الخلفية.

- فعلا حركة رشيقة وصعبة جدا على النحات كمان، هو فنان فرنسي شهير على ما أتذكر اسمه جاكمار.

تمضي الحافلة غربا بلا هوادة في شارع السكة الجديدة، ثم حي مينا البصل، فكوبري التاريخ وحي المكس، يتابع حاتم الشوارع وأسماءها بكل شغف، بعد قليل تنتشر رائحة شنيعة، لم يستطع حاتم أن يتحملها فسد أنفه لكن هيهات، صاح متبرمًا ومشمئزًّا:

- إيه الرائحة دي؟

- دي مدابغ الجلود، احنا في المكس.

تهدأ الرائحة مع الوقت، ويتعجب كل الركاب من منظر الأرض الصخرية التي بدت وكـأنها صخور من القمر، فأشار لأمه القابعة على المقعد الخلفي مندهشا من منظرها العجيب:

- ده وادي القمر.. سموه كده زي ما أنت شايف، الأرض صخرية وشكلها غريب كأنها في القمر.

الصخور فعلا كثيرة متقصفة ومتناثرة بشكل عشوائي، كأنها هبطت من سطح القمر، مع الوقت بدأت تقل البيوت وتتباعد عن بعضها، تنتشر مزارع التين بشجيراته القزمة، وأوراقه المفلطحة الكبيرة ككفوف البشر، تبدو الرمال البيضاء ككثبان متماوجه قرب البحر المحجوب عن الناظرين، العجمي ليس بها بيوت إلا قليلا، قرب شاطيء البحر، ترن في أذنه نغمات أغنية فيلم أبي فوق الشجرة "مشيت مشيت.. على الأشواك.. وجيت لأحبابك، لا عرفوا إيه وداك ولا عرفوا إيه جابك" ياه.. عبد الحليم حافظ، كان هناك على مرمى البصر يوم أن صور مشاهد من فيلمه الأثير منذ سنوات قليلة، سمع من أصدقائه أن العجمي بها فيلات لعديد من مشاهير مصر، يتمنى أن يذهب يوما لهذا الشاطئ السحري، فيلتقي كل من يتمنى لقاءهم، إلا عبد الحليم الذي رحل فجأة منذ شهرين، حزن بشده عليه، لكنه لم يبكِ عند سماع خبر وفاته، بينما أخته سوزان بكت بحرقة، عرف منها لاحقا أن مدارس البنات الثانوية كان بها إغماءات وتشنجات ونحيب جراء هذا الخبر الصادم الأليم، ولم يخفِ عنها تعجبه من مشاعر البنات الجياشة وتأثرهم بشدة.

استيقظ من أفكاره وقد استوت الحافلة على طريق مرسى مطروح الساحلي الضيق والحافل بعديد من المطبات، تتهادى إلى الغرب تسير بركابها الهُوَيْنَى، على يمينهم تدرجات لونية مبهرة، تبدأ بسهل منحدر رماله أقرب إلى اللون البنيّ، وبه تجمعات لأعشاب صحراوية جافة، تتجمع تحتها كثبان رملية صغيرة، وقبل البحر تعلو تلّة من الرمال الناعمة لؤلؤية اللون، ثم ينفجر بعدها لون البحر الأزرق الفتّان، ثم لون السماء الأزرق الفاتح إلى ما لا نهاية، أما عن يسار الطريق، فالصحراء الغربية بلونها الأصفر الكاكي تمتد إلى مرمى البصر بلا شجر أو ثمر، اللهم إلا بعض حقول أشجار التين القزمة.

- عارف يا حاتم، إحنا كمان ساعة تقريبا نوصل العلمين.

لمعت عيناه وصاح متحمسا:

- قريت عنها في كتب المدرسة، العلمين أرض معركة مهمة في الحرب العالمية التانية.

- فعلا، فيه هناك استراحة هنقف فيها، وبجوارها المتحف الحربي، وطبعا مقابر ضحايا الحرب من الإنجليز وباقي الحلفاء، وكمان ضحايا دُوَل المحور الطرف الآخر ضدهم، أقصد مقابر الألمان والإيطاليين.

طريق الإسكندرية مطروح، بناه الإنجليز قبل عشرات الأعوام ليخدم قوات الحلفاء وهو ما ساعدهم في صد هجوم الألمان من ناحية ليبيا لاحقا، كذلك خط السكة الحديد، الطريق مبنيّ بعيدا عن الساحل، ربما خمسة كيلومترات أو أكثر، ومنه تستطيع أن تراقب التدريجات اللونية الفريدة للبحر، قُبَيْل العلمين، تشاهد البحيرات القليلة المتناثرة بين الطريق وبين البحر، توقفت الحافلة أخيرا أمام مبنى حجريّ أنيقٍ، أمامه شجرة كازورينة مهيبة تلقي ظلالها الثمينة لمن يلوذ بها، الاستراحة بها صالتان؛ الأولى شبه مفتوحة، لكنها مسقوفة تخدم ركاب الحافلات والسيارات القليلة التي تتوقف بها، والثانية فخمة ومغلقة بباب زجاجي أنيق ما أن تدلف فيها حتى تشعر بالرونق والنظافة المتميزة، كما أن بها بارًا كبيرًا، كان محط نظر حاتم وسوزان بزجاجات الخمور الملونة وأشكالها الفنية الجميلة، على طرف البار يقبع عموديًّا على كتفين برميلٌ خشبيٌّ به صنبور كالذي يراه في الأفلام الغربية، عرف من والدته أن هذا المكان يخدم الأجانب الذين يأتون لزيارة ذويهم ضحايا الحرب العالمية الثانية، خاصة الذين يقطنون في الموتيل الصغير ذي الدورين في محيط الاستراحة، وتحوطه أشجار الجازورين والزهور الجميلة، جلست الأسرة الصغيرة

على أحد المناضد يحتسون الشاي والقهوة والمياة الغازية، أشار لهم والدهم إلى البار قائلا:

- شايفين جمال المكان، وإغراء زجاجاته، لكنها مع الأسف تحمل في باطنها سمًّا حقيقيًّا.

انتبه حاتم متعجبا، فأضاف والده:

- واحدة من أكبر مشكلات الغرب هي مضاعفات شرب الخمور الصحية والاجتماعية، زي ما بيقولوا عندنا الحلو ما بيكملش.

ابتسم حاتم ونظر لأخته سوزان مداعبا لها:

- زي سوزان كده.

لم تستطع سوزان أو أبواها منع أنفسهم من الابتسام، لكنها ردت بضحكة تلوي فيها شفتيها كناية عن عدم رضاها قائلة:

- اسم الله عليك وعلى خفة دمك.

نظر حاتم لأخته سوزان وشعر فجأة أنها كبرت وأصبحت آنسة، كان دائما ما يتعامل معها على أساس أنها طفلة، انقضى وقت الاستراحة سريعا وبعدها جلس حسين بجوار زوجته في الحافلة، وقال لها هامسا:

- خايف الأولاد ما يعجبهمش المكان!

- ليه؟

- المدينة كلها صغيرة جدا، ويبقى صيف بلا أصدقاء.

- بس هما بيحبوا البحر، ما تقلقش إذا ملوا من المكان قوي ممكن نرجع إسكندرية في أي وقت.

- كويس إن الإرسال التلفزيوني تم تقويته أخيرا، قبل ما أتنقل هناك كان ما فيش غير الإذاعة، بس السادات مهتم بمطروح، بيقولوا بيحبها من زمان، وبالفعل عقد فيها اجتماعات مهمة مع القذافي رئيس ليبيا والرئيس السوري حافظ الأسد، قبل حرب أكتوبر.

- بس حاليًا بسمع الأخبار في إذاعات أجنبية أعرف إن الخلاف دب بينهم.

- قصدك بين السادات والقذافي؟

- أيوه.. القذافي بيتهمه بإن فيه مفاوضات سرية بينه وبين أطراف قريبة من إسرائيل!!

- السادات مكار ويعملها.

ضحكت نبيلة من قلبها.

طول عمره، بس نفعنا كتير في حرب أكتوبر، إحنا عملنا معجزة حقيقية.

- حرب أكتوبر عمل عسكري مبني على العلم والتخطيط

والتضحيات الجسيمة، في اعتقادي هي أهم إنجَاز مصري في القرن العشرين.

- حقيقي، العبور كان حلم أصبح حقيقة الحمد لله، خلينا دلوقتي في مطروح والإذاعة جميلة، هو حد يقدر يستغنى عنها، حتى لسه الاحتفال بعيدها 43 كان من كام يوم زي كل سنة.

أخذت نبيلة تدندن بأغنية عيد الإذاعة بهدوء وحسين ينظر لها مبتسما بمحبة "يلا حالا بالا بالا حيوا أبو الفصاد.. حيكون عيد ميلاده الليلة أسعد الأعياد.. هنوا أبو الفصاد"

تمر الحافلة بتجمعات بسيطة جدا ومدن صغيرة؛ سيدي عبد الرحمن، الضبعة، فوكة حيث مزلقان القطار الشهير، ثم رأس الحكمة، وبعد ساعات طويلة مرهقة وصلت الحافله إلى مشارف مرسى مطروح، يتطلع حاتم بشغف كبير لمدخل المدينة وهو لا يرى إلا بيوتًا ريفية بسيطة وقليلة جدا، ويتعجب: أين تلك المدينة العجيبة، فجأة تستدير الحافلة نحو الشمال، فيجد أن طريقهم المؤدي لمدخل المدينة فوق هضبة كبيرة، وهنا فقط تنكشف كل المدينة بمبانيها البيضاء يمينا ويسارًا والبحر أمامه، كأنه يركب طائرة تهبط رويدًا، تتخطى قضبان السكة الحديد وتتهادى الحافلة في شارع الإسكندرية؛ منتصف المدينة ومركزها التاريخي .

2
مرسى مطروح

انتقل الأستاذ حسين زويل والد حاتم وسوزان إلى مرسى مطروح منذ شهور قليلة، بالتحديد بعد مظاهرات يناير 1977 الشهيرة ضد السادات، وكان النقل لها عن طيب خاطر منه لتدعيم المحافظة الجديدة الناشئة، حيث ودّ أن يبتعد قليلا عن وادي النيل بصخبه وصراعاته التي لا تنتهي، خاصة في الترقيات ومجال العمل الذي أثّر فيه اتجاه الدولة للانفتاح الاقتصادي، وعدم الاعتماد على القطاع العام، فوجد ضالته في مرسى مطروح ليترقي من ناحية، ويتمتع براحة البال من ناحية أخرى، مدينة صغيرة معظم مبانيها بسيطة ترتفع لدور واحد أو دورين، فوجد ذاته في تواصل تام مع الكون بحرارة الصيف وتكوينات السحب في الشتاء، وحتى عواصفها الرملية الغاضبة في الربيع والخريف، تعوّد تدريجيًّا أن تأتي صحف الصباح في المساء إن وصلت أصلا، ولم تنقطع بها السبل من عواصف رملية أو سيول جارفة شتاءً، هنا في مطروح، لا يوجد زحام يؤرق حياته، السيارات قليلة جدا، أغلبها حكومية إلا بعض

سيارات الأطباء وبعض المقاولين أو أثرياء المدينة القليلين جدا، الحياة أبسط على الرغم من تعقيدات الحصول على الماء العذب، أو تكرار انقطاع الكهرباء.

تنقسم مدينة مطروح فعليا لقسمين؛ الشرقي، وهو الأقدم الذي خططه الإنجليز قبل الحرب العالمية الثانية، كل شوارعه متعامدة بشكل دقيق، وكل قطعة متساوية مع الأخرى، وحرصت السلطات وقتها على زراعة أشجار الأثل العملاقة لترمي بظلالها على الشوارع الرئيسة، أما الحي الغربي الذي امتد العمار فيه ببطء ليس كتنظيم الحي القديم، فالشوارع ليست مستقيمة والأشجار فيه قليلة إن وجدت، المدينة عموما بسيطة وهادئة بها أربع شوارع هامة متوازية بين البحر والتل الذي يطلق عليه أهلها الجبل، وهم شوارع الكورنيش والجلاء (أو طريق المطار) وعلم الروم والمدرسة الثانوية وأخرى بالعرض متعامدين على البحر، أولهم شارع الإسكندرية الرئيس متوسطًا المدينة، ويمينه شارع بورسعيد وشارع محطة القطار (المعروف بالشهيد زاهر جلال)، وأقصى اليمين شارع الميناء القديم، ثم إلى يساره شارع ليبيا المعروف بسوق المغاربة وشارع المنطقة الطبية

استقرت الحافلة في منتصف شارع الإسكندرية، ينتظر القادمون وسيلة المواصلات الوحيدة "الكارتّة"، التي تجمعت بجوار المكان، قائدوها الصغار يصيحون؛ كارتّة.. كارتّة، ليجذبوا الزبائن، وكارتّة مطروح صغيرة الحجم ليست كتلك الكبيرة التي تجري في شوارع أبو قير مثلا، يجرها حمار واحد، غالبا ما يبدو عليه الهزال، أو الجروح جراء ضرب ظهره ليسرع في المسير، يقود الكارتّة صبي صغير غالبا من أهالي بسطاء البدو بالمدينة أو أولاد من الصعيد يأتون للعمل بالصيف فقط طلبا للرزق.

تنفسوا جميعًا الصُعَداء حين وصلوا للمنزل بعد رحلة سفر شاقة، شقتهم بالعمارة الأولى في صف عمارات حكومية ممتدة على طريق المطار، حين فتح حاتم الشرفة كانت الرمال الصفراء الناعمة تغطي جنباتها، تطل الشرفة يمينا على ميدان، أمام عمارتهم على الجانب الآخر من الشارع صف أشجار كازورين باسقة، المنظر رائع حيث يستطيع حاتم من شرفة بيتهم أن يرى البحر من بعيد والسماء ممتدة ببضع سحابات بيضاء عابرة، وصف الأشجار أعطى للمنظر بُعدًا خلابًا، الشارع نفسه هو مدخل المدينة للقادم من السلوم.

الشقة مقسمة بشكل رائع، أروع ما فيها شرفتها وبها أريكة وكراسي مريحة صنعت من جريد النخل، تلك التي ستصبح مقرًّا هامًّا لحاتم وسوزان .

شعروا جميعًا بالجوع الشديد، يبدو أن جفاف الجو يلعب دورا، فتناولوا وجبة غذاء سريعة، وبعدها غطوا في نوم عميق.

استيقظوا جميعًا مبكرًا جدا، وبعد الإفطار قرروا جميعًا النزول للشاطئ، ارتدوا المايوهات والبرانس فوقها وعلى أكتافهم الشمسية وكراسي البحر الصغيرة وشنطة الشطائر وزجاجة مياة باردة لزوم العطش، وسريعا توقفت كارتّة بمظلة حمراء وكرانيش مبهجة، فجلست الأسرة على الكرسيين المتقابلين في الخلف، وانطلق الحمار بكل همة إلى شاطئ البوسيت.

تعمد حسين أن تذهب الكارتّة للبحر عن طريق شارع المنطقة الطبية، حتى تتسني لهم رؤية البحر من أجمل بقعة على الكورنيش، من فوق الربوة المتوسطة المطلة على البحر، فينكشف تماما من أعلى نقطة، أمام فندق ريم توقفت الكارتة ونزلوا جميعًا مبهورين بمنظر الخليج الفيروزي وألوانه الزرقاء والخضراء الخلابة ومياهه الشفافة البلورية، تحيطه تلال

من اليمين، وصخور متباينة شمالًا ما عدا فتحة طبيعية تنفذ منها السفن، وصخرة بارزة لليسار من المشهد الأسطوري الفريد.

بدأ حسين يشرح لهم المشهد:

- زي ما أنتم شايفين، الخليج عبارة عن قوس كبير أقصى اليمين جبل وشاطئ روميل، وطول ما أنت جاي كلها شواطئ تمتد عليه المعسكرات الصيفية، هنا الصخرة الكبيرة اللي احنا واقفين عليها، البيت الوحيد اللي مبني عليها بيت على حيده، أما الفيلا الصغيرة خلفنا فهي استراحة المحافظ، خلفنا تماما فندق ريم وللغرب -أشار بيده- الليدو والبوسيت لحد أقصى نقطة نجد شاطئ الغرام، شايفين الصخرة اللي هناك دي، دي صخرة ليلى مراد.

صرخت نبيلة بفرحة غامرة:

- الله.. أنا عاوزه أروح هناك.

نظرت بكل شغف للمنظر البديع وهي تدندن أغنية ليلى مراد "يا ساكني مطروح جنية في بحركم.. الناس تيجي وتروح وأنا عاشقة حيكم "

- أكيد طبعا، ربنا حمى المكان ده بحاجز أمواج طبيعي من الصخور أمامكم تماما.

حاتم وسوزان منبهرين تماما بالمنظر الخلاب، اللون الأزرق الممزوج بالأخضر الفيروزي الشفاف وصف صخور طبيعية يحمي الخليج، ومن بعده البحر الكبير، كانوا مستمتعين كذلك بالهدوء ونسمات الهواء التي تنعشهم تماما، فتبث فيهم الحماسة لنزول البحر فور وصولهم للشاطئ، انبهروا جميعًا بالرمال البيضاء التي من نعومتها تنغرس فيها الأقدام تماما وأنت تسير عليها، يخيل لحاتم أن حبات الرمال هنا أكبر من مثيلاتها وأنعم، كما أن لونها الأبيض اللؤلؤي يعكس الضوء بشكل غريب عليه، مياه البحر في الصباح الباكر كالمرآة، والأمواج تكاد لا تلاحظ، أما لون البحر فيخلب العقول، من شفافيته تستطيع رؤية أسماك البساريا والموزة تسبح بكل اطمئنان، ومن بعيد ينغلق الخليج الأسطوري بحاجز أمواج من الصخور الطبيعية، ما يضفي على الجو حميمية واطمئنانًا، الشاطئ يكاد يكون خاليًا إلا من أسر قليلة أخرى أمام فندق الليدو القديم، قبل أن تتوقف الكارتّة أشار والده لعامود خشبي ضخم أقرب للمخروط ملون بالعرض أسود وأبيض، وفي نهايته ناحية البحر فانوس أخضر، وقال لهم:

- ده زي الفنار، بيساعد المراكب في دخولها للميناء القديم من فتحه البوغاز.

أخيرا، وصلوا للشاطئ ورماله الساحرة، الشاطئ ملك لهم، غرز حسين عصا الشمسية في الرمال جيدا، وفتح حاتم المظلة الملونة واستقروا أمام فندق البوسيت، لا صوت إلا تكسر الأمواج الصغيرة على الشاطئ وهفيف النسيم الرقيق.

3
البوسيت

السماء الزرقاء والبحر الفيروزي والرمال البيضاء، ثلاثية العشق والفن والجمال، على أطراف أصابعهم يقع فندق البوسيت الذي يتكون من ثلاثة مبانٍ بيضاء اللون كفروخ حمام وديعة، قابعة في سكون تتأمل الكون الفسيح أمامها، لون نوافذها الخضراء كعيون لا تنام، لا يفصلها عن البحر سوى بضعة أمتار من الرمال، كل مبنًى عبارة عن دور أرضى وآخر علوي، المبنى الأول به الاستقبال والمطعم مفتوح تماما لا يفصله عن الشاطئ سوى سور حديدي أخضر صغير لا يمنع أي زبون من رؤية البحر أو المصطافّين والعكس، بوابته الخشبية خضراء اللون بسيطة جدًّا لا يوجد بها رجال أمن ولا أي حاجز يمنعك من الدخول أو الخروج، يتحول هذا المكان في المساء إلى مطعم وبار ومرقص تعزف فيه أحدث الألحان العالمية التي يجلبها معه ميتشو صاحب الفندق من اليونان في اسطوانات كبيرة سوداء اللون، كما خصص ميتشو المبنيين الثاني والثالث لضيوف الفندق من صفوة أبناء القاهرة والإسكندرية، وقليل من

الأوروبيين، بساطة الفندق ووجوه المرحّب وارتمائه في أحضان البحر لا يقاوم، يكفي أن أي زبون حين يغادرهم في أي وقت يتم عزف موسيقى مرحة مميزة، ويتجمع كل العاملين والعاملات بقمصانهم الحمراء ذات الياقات السوداء يصفقون على إيقاع الأغنية ويلوحون للمغادر وأسرته، ويتمنون لهم العودة مجددا العام القادم.

- ممكن نيجي هنا بالليل نسمع الموسيقى

- ممكن يا حاتم طبعا، بكره أو بعده نتعشى هنا كمان مع بعض.

تدخلت نبيلة بسعادة بالغة، وقالت بتحدٍّ:

- أيوه ولو في رقص هادئ ترقص معايا.

أحس حسين بالإحراج قليلا:

- ممكن برضه، بس مش أكيد.

في طريق العودة يمرون على فندق الليدو الذي استضاف ذات يوم ليلى مراد وحسين صدقي وقت تصوير فيلمهما الشهير شاطئ الغرام، تهب على حاتم روائح مطبخ الفندق مما أثار شهيته جدا، وشعر بالجوع الشديد، كما مروا على جامع العوام المبني حديثا فقرءوا الفاتحة على روح صاحب المسجد الذي وُجد غريقا على شاطئ البحر ذات يوم، لم يتعرف عليه أحد فأسموه العوام، وتم دفنه على ربوة على الشاطئ، عرف حاتم

أيضا أن هذا الغريق قد زار في الحلم شيخًا مرموقا في مطروح، وتتالت عليه الأحلام نفسها كل ليلة حتى سعى ليبني له مسجدًا بجوار ضريحه، وهو ما تم في النهاية بعد تدخل الدولة وموافقتها على البناء، حتى أصبح المسجد أحد علامات مطروح البارزة، أخيرا، وصلوا للمنزل وكانت الصدمة، المياة تنقطع دوما والاستحمام سيكون بالدورق، وحتى المياه عسر لا يرغي الصابون بها، تنهد حاتم قائلا جملة أبيه الشهيرة "الحلو ما بيكملش".

في المساء، نزلت الأسرة للتمشية بشارع الإسكندرية، حيث المحال المتعددة تبيع أغلبها منتجات تم تهريبها من ليبيا، في الطريق، لفت نظر حاتم محلًّا له بوابتان خشبيتان، ويرتفع بسلمتين عن شارع الجلاء ومكتوب على لافتته "بار فوتيس كونتيس" وبجواره بقالة الحاج قطارية أشار حاتم لوالده مستفسرا عن البار فأجاب:

- صاحبه يوناني.. فوتي بقاله سنين هنا في مطروح يمكن من الأربعينات.

- هما اليونانيين هنا كتير كده.

- كان فيه مجموعة عاشت هنا بيشتغلوا في صيد الإسفنج، وبالتأكيد كانوا محتاجين خدمات تخصهم، ده غير الجيش الإنجليزي طبعا، اللي

فضل منهم أوتيل دي روز ومطعم بنايوتي وبار فوتي وميتسو صاحب البوسيت اللي بيفتح في الصيف.

بعد قليل قابل والده صديقًا له يرافقه ابنه في سن حاتم نفسه، تعارفا سريعا:

- اسمي أمجد، أنت لسه جاي مطروح؟

- آه.. أنا حاتم.

- أنا كمان ساكن في اللوكس بعدك بكام عمارة، تحب تلعب كورة؟

- أحب، ممكن أقف لكم حارس مرمى؟

- حلو، احنا محتاجين فعلا حارس كويس.

- بكرة عدي عليّ أروح معاكم.

- تمام.

في عصر اليوم التالي مر أمجد على حاتم واصطحبه للمزرعة خلف جامع العوام بقليل، حيث ملعب الصبية المفضل بعيدا عن العمارات وسكانها، الملعب أرض رملية صلبة، والمرمى عبارة عن حجرين كبيرين بدلا من القائمَيْن، تعرف حاتم على باقي الفريق التي حملت عيونهم أسئلة وفضولًا كبيرًا، خالد وسعيد وعادل، وفي المباراة التي جرت بين فريقين تألق حاتم في حراسة المرمى فزاد الترحيب به من كل المجموعة، في أثناء

المباراة، لاحظ حاتم سيارة جيب حمراء مكشوفة وقفت بجوار الملعب، وترجل منها شاب وشابة في سنهم نفسه تقريبا، كان يبدو أنهما ليسا مصريين من ملامحهما الأوروبية، وشعرهما الأشقر، تابعا المباراة وبعد نهاية المباراة سأل حاتم باقي الفريق عن السيارة الجيب ومن فيها، فأجابه أمجد:

- دول اليونانيين سيبك منهم.

تعجب حاتم من الرد، وزاده فضولا:

- أنتم مش بتكلموهم ليه؟

- ما بيعرفوش عربي، ومش بنعرف نتفاهم خالص.

تردد حاتم قليلا يفكر، ثم قال:

- طيب انتظروني.

ذهب لهما حاتم وحدثهما بالإنجليزية:

- اسمي حاتم.

- أندريا، وأختي إيما.

- اعتقدت في الأول إنكم إنجليز.

ضحكا وصاحا معا مبتسمين:

- لا.. يونانيين

- آه.. عرفت من أصحابي.. أنت تلعب كرة قدم؟

- لا مع الأسف، لكن أحب مشاهدتها فقط.

- إذن تعالَ يوميًّا، مرحبا.

- أوكيه.

- أنت تعرف الإنجليزية جيدا.

- نوعا ما، أنا من الإسكندرية.

- أهاا الآن فهمت، أنت أول شاب يتحدث معنا بإنجليزية مفهمومة.

ضحكا على هذه الملاحظة، وقال حاتم وقد رأى علامات الملل على وجوه أعضاء الفريق، فتحرج منهم وقال:

- نراكما قريبا، إلى اللقاء،

صافحهما يدا بيد وجرى عائدا.

- إلى اللقاء

تركهما حاتم ليعود لأصدقائه الجدد مبتهجا، لكنه لمح نظرة انتقاد في عيون زملاء الفريق، وقال له أمجد:

- أنت عارف دول مين يا حاتم؟

- لا، شباب يونانيين حبيت أرحب بيهم.

- دول أبناء فوتي.

أخذ يتذكر الاسم وعيونه كأنها تنظر لطرف السماء، وتساءل مقطبا:

- اليوناني صاحب البار؟

- آه تمام.

- أنا معرفش، لكن..

قبل أن يكمل جملته، قال أمجد متجهّما:

- طيب، يلا عشان نروح.

انفصل أمجد وحاتم عن باقي الشلة، فسأله حاتم بعد تردد:

- أنت اتضايقت علشان رحت سلمت عليهم، أنا بعرف إنجليزي كويس، قلت نتعرف عليهم.

- البنت الشقراء عجبتك.

صدمته الجملة لكنه قال باندهاش

- لا أبدا، هي جميلة، بس حسيت إنهم عاوزين يصاحبونا، أنت لما أخدتني معاكم نلعب كورة خليتني سعيد جدا، لأني مش بعرف حد في مطروح، هما أكيد حاسين بالعزلة كمان.

- بص يا حاتم، أنا والدي بصراحة منعني من الاختلاط بيهم، بيقول لي الأجانب مش زينا، مش مسلمين، وممكن يشربوا خمور،

وخصوصا إن ده سهل عليهم، لإن والدهم صاحب البار وكل شيء متاح.

- وتلاقيه خايف عليك من إيما كمان.

ضحك أمجد وقال مبتهجا:

- تصدق أول مرة أعرف اسمه واسمها؟

فهم حاتم أن أمجد معجب بإيما من سعادته المفرطة حين ذكر اسمها.

- شفت بقى، خليك معايا تكسب.

قال أمجد وهو مندهش:

-ده أنت طلعت لئيم.

وضحكا سوًّيا.

4
حاتم

لا تنمُّ ملامح حاتم على أنه مصري تماما، لون بشرته البيضاء، شعره الكستنائي، ملامحه الحادة والدقيقة توحي لمن يراه بأنه أجنبي، أو حتى من أصول غير مصرية، ربما تلك آثار ملامحٍ من أسلافه كما قيل له الذين نزحوا من المغرب إبان حكم الفاطميين، قامته الطويلة مقارنة بأقرانه وملامحه لم تبث فيه روح التفرد أو التعالي، بل بالعكس هو أقرب للتواضع، ربما تأثر في هذا بوالده الذي كان يعامل جميع الناس بكل مودة ورحمة، لكنه كان دائما ما يتساءل عن أصل الأشياء، وإذا اقتنع بها أحبها، وإذا صَعُب عليه فهمها أو هضمها، أزاحها جانبا.

في اليوم التالي، وفي أثناء مباراة حامية الوطيس بين فريقه وفريق شارع علم الروم، لمح حاتم سيارة أندريه الجيب الحمراء المكشوفة تقف على جانب الملعب، ويترجل منها ويراقب المباراة بشغف، ويصفق لتسديدة قوية أو صدّة من حاتم ارتمى فيها وأبعد الكرة عن المرمى بصعوبة، ابتسم حاتم له ولوح له بيديه من بعيد.

بعد المباراة التقيا مجددا وتحدث أندريه بإنجليزية مقبولة:

- أهلا حاتم.

- هاي أندريا

- ممكن تناديني آندي.

قال حاتم ضاحكا:

- ده أسهل أكيد

التفت لأمجد ونادى عليه، فحضر أمجد سريعا وصافح آندي وعرفهما حاتم على بعضهما

انتهز آندي الفرصة قائلا:

- تحبوا الذهاب للميناء القديم

رد حاتم بسرعة فائقة:

- بالتأكيد.

لكن أمجد تردد قليلا حتى شجعه حاتم بالعربية:

- ما تبقاش جبان، نص ساعة ونرجع.

مغامرة الركوب في سيارة جيب مكشوفة محفوفة بالمخاطر، لكنها لا تقاوم، ركبوا محشورين بالكرسي الوحيد بجوار آندي، انطلقوا جميعًا قبل المغرب للميناء القديم، ملأهم الزهو وهم في الجيب وكأنهم مخترعوها،

الشوارع الخالية من السيارات إلا من كارتّات قليلة، سمحت لآندي بالقيادة مرتاحًا وكان أكثرهم سعادة، فلقد حصل أخيرا على أصدقاء يؤنسون وحشته في مطروح، الميناء القديم رصيف واحد صغير، ترسو به مركب صيد واحدة، لا يفصله أي سور عن الشاطئ، عن يمين المرسى شاطئ عميق بلا موج تقريبا ترسو عليه مراكب الشراع التي تبحر بكل هدوء وانسيابية لشاطئ روميل المقابل، يقل المصطافين جيئة وذهابا، على الشاطئ الآخر، وفي حضن الجبل، تقبع شاليهات أوتيل مارين فؤاد منعزلا وحيدا عن هذه الضفة.

في عودتهم بالسيارة قبيل المغرب كانت أفواج هائلة من راكبي الدرجات الهوائية من بنات وشباب من مصطافي معسكرات النادي الأهلي ونادي الجزيرة عائدين بعد جولة العصاري في المدينة، يرتدون الملابس الرياضية الخفيفة في منظر مبهج، البنات والأولاد يرتدون الشورت ويتسابقون بكل مرح.

أخيرا، وصلت سيارة آندي الجيب لسكن حاتم، نزل ومعه أمجد كي يتجنب توصيل آندي له، والاعتراضات التي قد يلاقيها من أسرته، انطلق آندي بسيارته فقال حاتم:

- كانت فسحة جميلة.

لكن أمجد عقب مباشرة على كلامه:

- بس يا خوفي يا بدران!

ضحك حاتم لأنه يعرف هذه الجملة من فيلم مصري قديم:

- واحنا عملنا إيه غلط؟

- قلت لك بابا هو المشكلة.

- لو عرف إننا مع بعض مش حيغضب.

تنهد أمجد قائلا بيأس:

- ربنا يستر.

افترق الصبيان على أمل أن يلتقيا غدا في الصباح، صعد حاتم للمنزل، والتقى أسرته في شرفة المنزل بعد أن شربوا شاي العصاري، سأله والده بغتة:

- شايفكم اتصاحبتم مع ابن فوتي

- آه.. شاب من دورنا، مهذب جدا، عايش في اليونان وبيجي في الصيف بس زي حلاتي

- بس يا حاتم لازم تخلي بالك، هو ممكن يشرب بيرة أو خمور لأن ثقافته غير ثقافتنا.

- فاهم طبعا يا بابا، ما تقلقش من الموضوع ده.

تدخلت أمه في الحديث:

- احنا واثقين إننا ربيناك كويس وواثقين فيك.

- يا رب يخليكم.

تدخلت سوزان في الحديث:

- ما تخدوني معاكم مرة أتفسح.

ردت عليها أمها بحزم:

- سوزان، بطلي عبط.

غمغمت سوزان بشكل لم يسمعه أحد تقريبا:

- عشان أنتِ بنت وهو راجل، كل حاجة كده، يا رب ليه ما خلقتنيش ولد بس.

في المساء، خرجت الأسرة للبوسيت لقضاء سهرة في الشرفة الكبيرة للأوتيل الذي يطل على البحر، الأنوار بسيطة وهادئة، في التاسعة تماما، تنطلق أحدث الألحان الأوروبية عبر سماعات حديثة جدا، ويقوم الناس من كل الأعمار للرقص الهادئ تارة أو الصاخب تارة أخرى، في ردهة واسعة بمنتصف المكان، لاحظ حاتم أن الشباب من الممكن أن يرقصوا مع بعضهم بعضًا بدون أن يكونوا على سابق معرفة، كان يتمنى أن

يرقص هو الآخر، فالموسيقى تحيي في جسده الانتفاضات الراقصة، لكنه اكتفى بهز قدميه، أو كفيه.

طلبت أمه الرقص من أبيه الذي تحرج كثيرا، لكنه تشجع حين رأى كل الناس منهمكة في حالها، وأن جلّهم مصطافّين فرضخ لها، وهي في فرحة عارمة بهذا الرضوخ.

وفي منتصف الليل تماما، تتوقف الموسيقى الراقصة، لتنتهي تلك الأمسية الرائعة، في طريق العودة قرر حاتم أن يحضر هو والأصدقاء المرة القادمة بمفردهم فالأمر يستحق.

5
أمجـــد

أمجد على عكس حاتم، بقامته القصيرة وشعره المصري المموج، لون بشرته القمحي المائل للسمرة خاصة في الصيف إذ يتعرض للشمس كثيرا في البحر أو عصرا في أثناء مباريات كرة القدم التي يتقن لعبها بحرفيّة كبيرة، تجعله دائما يرجح كفة فريقه، وميزته الكبرى هي أنه لا يفقد أعصابه في أثناء لعبها إلا نادرًا، فدائما ما يتمالك مشاعر الغضب في أثناء المباريات وما أكثرها، إذ غالبا تدار هذه المقابلات بدون حكام، وحتى إن وجد الحكم فلا تستطع أن تضمن نزاهته، وهذه الميزة أعطته ثباتًا انفعاليًّا كبيرًا أمام المرمى، فسهلت له تسجيل الأهداف. عاد أمجد للمنزل في نهاية اليوم وهو يتمنى ألا يكون والده موجودًا بالمنزل، حتى لا يسأله لماذا تأخرت، وهو لا يحب الكذب، يعرف يقينا أن والده سيندفع غاضبا، وربما يتلقى صفعة كي لا يكرر هذا الفعل مرة أخرى، يعرف أن والده يحبه كثيرا ويخشى عليه من أي خطر محتمل، لكنه في الوقت نفسه يحرمه من التجربة، ومن أن يكون حرًّا في قراراته، يشعر بأن والده قد رسم

طريقًا محددًا له ولا يجب أن يحيد عنه إطلاقا ولا حتى طرفة عين، وأن ينفذ ما يراه بشكل آليّ لا تفكير فيه، حتى يضمن الوصول لبر الأمان.

تلاشت أمانيه، ووجد والده ينتظره غاضبا، وبادره متسائلا:

- كنت فين لحد الآن؟

- كنت بلعب كورة.

- لحد المغرب؟

- لأ.. اتمشيت مع أصدقائي.

- مين؟

- حاتم.

- ومين كمان؟

أدرك أمجد أنه سيعاقب عقابا شديدا، لكنه قرر في لحظة أنه سيقول الحقيقة:

- وآندي.

قال والده متهكّمًا:

- ومين كمان؟

- آندي.. اليوناني.

فجأة اسودت الدنيا في عينيه، ربما غاب عن الوعي لثوانٍ، فقد كانت لطمة قوية من يد والده، وهو يصيح غاضبا:

- أهو ده كمان اللي ناقص، أنت محبوس في البيت لحد ما نشوف آخرتها.

لم يبكِ أمجد، وانسحب لغرفة النوم، تلقته أمه تربت على كتفه، لكنه تملص منها، ولاحقه صوت والده صارخا:

- قوم صلي المغرب.

ذهب للوضوء، وعاد ليصلي ودموعه تنساب بلا توقف، ولأول مرة يشعر أن الله لن يتقبل صلاته.

*****

عوقب أمجد لمدة يومين بعدم النزول، وهو من جانبه لم يتذوق فيهما الطعام، كأنه في إضراب حقيقي عن الحياة، حتى قلقت أمه عليه، وضغطت على والده كي يفك الحصار المفروض عليه، طلبه أبوه للمناقشة، وذهب إليه أمجد وهو يجر قدميه جرًّا، كان يدرك أن هناك حصة أخلاق ودين تنتظره بكل قسوة، وعليه أن يوافق على ما سيمليه

عليه والده وإلا سوف ينغص عليه الإجازة الصيفية كلها، ويجعله صيفًا أسودَ، بادره أبوه قائلا وهو يتصنع الهدوء:

- بص يا أمجد، أنا مش بحب أضربك ولا أمد إيدي عليك نهائيا، لكن أنت كمان لازم ما تستفزنيش.

- حاضر

- وإيه اللي عرفك على الولد اليوناني ده.

- كان بيتفرج علينا واحنا بنلعب كورة، وحاتم كلّمه واتعرفنا عليه.

- أنت مش خايف يخليك تشرب بيرة وخمرة؟

- لا يا بابا، احنا مالناش دعوة بوالده خالص، هي مرة ركبنا معاه العربية ورحنا الميناء ورجعنا على طول.

- أنا مش هنتظر إنكم تتصاحبوا وترجع لي في يوم سكران!

- أؤكد لك مش هيحصل.

وأصدر والده قرارا يبدو أنه كان قد استقر عليه قبل أن يتكلم معه مقابل الإفراج عنه.

- الولد ده ما تعرفوش بعد النهار ده، أنت من طريق وهو من طريق.

- حاضر.

قالها مطرقا وهو يشعر بأسف شديد.

*****

عاد أمجد مجددًا للفريق عصر اليوم نفسه، وسط تهليل كل الزملاء بعودته مجددا، وادعى أنه كان مريضا، وبالفعل بدا هزيلا بعد يومين من الصيام القاسي، لكن حاتم انفرد به فذكر له أمجد الحقيقة، وأنه لن يستطع الذهاب معهما مجددا، وتفهم حاتم ظروفه وخفف عنه الأمر قائلا:

- سمعت إن بكره فيه حفلة في نادي الشجرة، أنا عمري ما رحته، إيه رأيك نروح أنا وأنت؟

- ماشي، نادي الشجرة هو الوحيد اللي في مطروح.

- وهنروح على رجلينا ياعم، موتورجل يعني.

ضحكا سويًّا، وانشرح قلب أمجد لتفهم حاتم وبدءوا اللعب بعدها، حاتم حارس المرمي، وأمجد الهداف.

*****

نادي الشجرة هو نادٍ اجتماعيّ يقع في قلب المدينة وعلى مقربه من فيلا المحافظ، يعج بالروّاد يوم الجمعة من كل أسبوع، حيث تقام المسابقات للكبار والأطفال، وتقام حفلة سمر جميلة آخر اليوم وقبل المغرب، لكن هذا اليوم تقام حفلة سنوية يشارك فيها فريق الكشافة للبنين، وزهرات الكشافة للبنات، والكورال وفريق التمثيل بقصر الثقافة، فكان الزحام شديدًا، وتشابهت الفقرات بعد المسرحية القصيرة، تعدد المغنون والمغنيات حتى كاد ينسحب الصديقان بهدوء، لكن قبل أن يغادرا بثوانٍ انطلقت موسيقى عذبة، ولحن ملائكي فريد وصوت من زهرات الكشافة بصوت عذبٍ نديّ يصدح بأغنية أم كلثوم "الرضا والنور"

أوقدوا الشموس.. انثروا الزهور..

موكب العروس.. في السما يدور..

*****

تسمر حاتم تماما، كأن سحرًا سيطر عليه، مأخوذا بصوت فتاة الكشافة وهي تغني بكل رقة وعذوبة، وخاصة حين رآها صبية بيضاء كفلقة القمر، وشعرها الأسود اللامع ينسدل من خلف البيريه البني المميز لزهرات الكشافة، حاول أمجد أن يلفت انتباهه، لكنه كان في عالم آخر مع اللحن الأخاذ.

الرضا والنور.. والصبايا الحور.. والهوى يدور..

آن للغريب.. أن يرى حِماه..

يومه القريب.. شاطئ الحياة..

والمنى قطوف.. في السما تطوف.. انقروا الدفوف..

انتهى اليوم، ولم يعد حاتم بعد ما سمع الأغنية كما كان، عرف من أمجد من تكون هذه الفتاة الرقيقة الموهوبة، اسمها أمنية، وتعتبر جديدة في مطروح، فقد أتت مع والدها منذ عامٍ تقريبًا، وهي مطمع لشباب كُثُر، لازمته صورتها أينما كان، وعانق صوتها أذنيه، كأن العالم كله يسمعها، وتولدت داخله رغبة عارمة في رؤيتها مجددا، ولكن كيف هذا لا يدري، اضطر أن يسأل أمجد مجددا عنها الذي ابتسم بخبث، وقال:

- أعرفك بيتها فين بشرط.

رد حاتم متلهفا:

- ايه الشرط؟

- إيما.

قال بارتياح:

- دي سهلة.

لكن أمجد أطرق بحزن وقال بحسرة:

- افتكرت بابا، واللي حصل منه عشان فسحة الميناء، مش حينفع خلاص الاتفاق.

تعجب حاتم:

- طب أنا مالي!!

- حعرفك بيتها فين، لا تخف، هي عاملة للشباب كله إبهار.

ابتسم حاتم بإعجاب، وسأل بسرعة:

- وهي؟

- محترمة جدا.

نزلا مباشرة متجهين لشارع علم الروم حيث ديار جميلة المدينة، وقبل أن يصلا لمقصدهما، قابل أمجد أحد جيرانه، علاء عبد الرحمن سلم عليهما بحرارة، وبمنتهى الشدة والإلحاح دعاهما للصلاة في مسجد الفتح الجديد، اعتذرا منه بلطف على الرغم من إلحاحه، وأكملا طريقهما، وبمجرد ابتعادهما عنه، تساءل حاتم:

- هو جارك علاء لابس قفطان وطاقيه وشبشب، هو أصلا من بدو مطروح؟!!

- لا أبدا، أسرته كلهم عاديين زينا، دخل كلية الهندسة السنة اللي فاتت، الصيف ده بس لقيناه لبس كده، ولقيته ربّى لحيته زي ما أنت شايف وبينزل خمس مرات في اليوم يقطع كل المشوار ده عشان يصلي في الجامع الجديد ده!

- غريبة جدًّا!

- إيه اللي غريب؟

- إنه يقطع كل المسافة دي علشان يصلي في جامع معين.

- يظهر عنده الصلاة لا تجوز إلا في الجامع ده!

- معقول الكلام ده! أول مرة أسمع عن حاجة زي كده.

- الله أعلم بالمستخبي.

كانا قد اقتربا من هدفهما، وبعينه أشار أمجد لنافذة غرفتها قائلا بصوت خفيض:

- أهوه بالدور الثالث.

نظر إليها حاتم وكأنها نافذة صنعت من الذهب يلمع في ليالي العمر المظلمة، كأن كل العالم اختفى وبقيت النافذة، نافذة على عالم جديد وعجيب.

6
آنـــدي

من بلاد الإغريق، اليونان العريقة، أتى هذا الفتى، حفيد الإسكندر الأكبر وابن فوتيس أو فوتي صاحب البار الوحيد في مرسى مطروح، لكن مهنة والده بدورها أسهمت في مزيد من العزلة بينه وبين شباب المدينة، هذا غير حواجز اللغة والعادات والتقاليد، يأتي في الصيف فقط، يصطحب أخته الأصغر "إيما" أينما ذهب، أو يخرج مع أسرته في رحلات البحر والصيد في ميناء الحشيش أو عجيبة والأبيض، قوامه الطويل، وبشرته البيضاء المشربة بحمرة التعرض للشمس، وشعره الأشقر، وعيونه الزرقاء تمنحه جواز مرور في المدينة، ويميزه جميع الناس بكل سهولة، لكنه هذا العام سعيد بصحبة حاتم وأمجد الأمر الذي جعله يتخفف من قيود الأسرة إلى حد بعيد، كدأب آندي، اعتاد كل يوم على زيارة ملعب المزرعة بسيارة والده الجيب الحمراء، وبعد أن ينتهي الصبية من لعبهم، يتوافدون للسلام عليه، ومنهم من يقفز إلى السيارة يجلس على مقاعدها مطفئا رغبته العارمة في قيادتها، ثم ينسلون تباعا ويبقى حاتم

وأمجد معه في السيارة يجلسون متقابلين على الكراسي الخلفية، كل منهم يأتي عليه الدور في الكلام عن نفسه، لكن الشغف الأكبر كان من حاتم وأمجد عن اليونان، والسؤال الأول يسأله حاتم:

- أنت منين من اليونان؟

- أنا من مدينة صغيرة جدا، قرية اسمها مونيمفاسيا.

ضحك الصبيان:

- فاسيا!!

تعجب آندي من ابتسامتهم الخبيثة، متسائلا:

- لماذا تضحكون؟

أمجد: الأمر معقد

حاتم : المقطع الثاني في المصرية تعني إخراج الريح.

انفجر آندي ضاحكا وأضاف:

- دي قرية جميلة، تطل على البحر من فوق ربوة مرتفعة، وبها كنيسة صوفيا الأثرية.

- هي أجمل ولا مطروح؟

- الموضوع مختلف، قريتنا صغيرة، وبها البيوت حجرية كأنها في العصور القديمة، مطروح جميلة، لكن كل منهما له طابع خاص جدا

ومتميز، لكن مونيمفاسيا مشكلتها في محدودية العمل بها، فمعظم الشباب يرحلون عنها مبكرا للدراسة الجامعية أو العمل، وهذا كان سببا في عمل والدي هنا في مطروح.

- هل من الممكن أن نزورها يوما ما.

- آه طبعا أستضيفكم، ستسعدون بالمنظر والزهور، وحتى أشجار الصبار التي تنمو على حواف الجبل.

سأله أمجد:

- هل كل اليونانيين طيبون مثلك آندي؟

ضحك آندي: لا طبعا.. في أثينا بالذات مناطق وأسواق ليس بها رحمة، كأي مدينة كبيرة، لكن في القرى والمناطق البعيدة، ستجد كثيرون طيبون، لكن كل اليونانيين شعارهم الحرية أو الموت.. فنحن لا نطيق القيود.

انبهر الصديقان بهذه العبارة، الحرية أو الموت، شرد أمجد قليلا حتى صاح به آندي:

- فيمَ شردت؟

تنهد أمجد قائلا وهو يزم شفتيه:

- يعني أنت ممكن تسيب أسرتك وتسافر لوحدك؟

- طبعا.. ممكن حتى من سن الثمانة عشرة أعمل وأستقل بذاتي

- أنت حتعقدنا.

ضحك حاتم معلقا:

- احنا نسيب بيت الأسرة لبيت الزوجية.

- ومن ماما وبابا للزوجة وطلباتها.

- أنا ساعات كتير بفكر إني لا أتزوج حقيقي.

تدخل آندي:

- سمعت أن مصريين كتير بيهاجروا حاليا، لأوروبا وأمريكا، يمكن عشان الكلام ده؟

علق حاتم قائلا:

- ممكن، بس مش علشان كده بس، أنت عارف الحروب اللي دخلناها بين مصر وإسرائيل، أثرت على الأحوال الاقتصادية كتير.

رد آندي

أعرف من بابا أن السادات رئيس منفتح غير ناصر، وبعد الحرب فتح قناة السويس، وهناك مباحثات سرية دولية لبحث سبل سلام دائم مع إسرائيل.

فقال أمجد مندهشا أكثر من أي شيء:

- بالنسبه لينا احنا اعتبرناه بطل بعد عبور قناة السويس، لكن موضوع السلام ده لا ندري عنه شيئا، لكن يمكن سمعنا إن القذافي رئيس دولة ليبيا بدأ يهاجم السادات لأنه بيتخلى عن توجهات عبد الناصر، القذافي يعتبره مثله الأعلى في سياساته خاصة مع إسرائيل، عارف يا حاتم إن السادات وحافظ الأسد والقذافي جم هنا مطروح قبل حرب 1973.

- يااااه.. شفتهم؟

قال بزهو وفخر:

- أيوه، كانت مواكب وصولهم بتمر من شارع الجلاء قدام البيت، وقفنا على الرصيف وبينا وبينهم مترين تلاتة نشاور لهم وهما يبتسموا لنا، هنا في مطروح تم الاتفاق على خطوط الحرب الرئيسة.

- لكن الأمور الآن اتغيرت، ومش عارفين السادات بيفكر في إيه؟

هنا حول آندي الدفة وقال بحماسة:

- عاوزين نروح البحر يوم مع بعض، وممكن إيما كمان تيجي.

أحس أمجد بدوار خفيف حين سمع اسمها، كاد أن يعتذر عن الحضور في ثانية واحدة، لكنه الآن عليه أن يواجه الصعاب.

سأل حاتم متلهفا:

- ما الشاطئ الذي تودون الذهاب له؟

رد أمجد بشكل مسرحي وهو يعرف تأثير ما يسمعه عليهم:

- ممكن شاطئ كليوباترا!!!!!.

بالفعل ارتفعت صيحات الفرح، لطالما كان شاطئ كليوباترا صعب الوصول إليه، وخصوصا أن الطريق إليه غير معدٍّ، وستكون السيارة الجيب فرصة للذهاب هناك.

في اليوم المتفق عليه، ذهب آندي وإيما بالسيارة الجيب لبيت حاتم، أخذوه وانطلقوا حتى ملعب المزرعة ليلتقطوا أمجد من هناك، وبالفعل وجدوه ينتظرهم وعلى رأسه عمّة بيضاء، اندهشوا من هيئته، وبمجرد ركوبه معهم، تلثم بالعمة وسط استغراب آندي وإيما، لكن حاتم فهم اللعبة وقال:

- كل هذا حتى لا يعرفك أحد.

- بابا لو عرف سيعاقبني.

ضحكوا جميعًا من الفكرة العجيبة وصاح آندي:

- الحرية أو الموت

فهتفوا جميعا خلفه: الحرية أو الموت!

7
كليوباترا

الطريق إلى شاطئ كليوباترا غير ممهدٍ، عبارة عن مدق يخرج من الطريق المؤدي لقرية "القصر"، ويلتف حول البحيرة الكبيرة، كثبان الرمال البيضاء تبدو كالثلج، منقوش على صفحتها موجات رسمتها ريشة الريح ، تتخلل تلك الكثبان بعض الأشجار وارفة الظل، وأحيانا بعض نباتات جافة تضفي على المكان لمسات بدائية تؤكد لك عذرية هذا المكان ناصع البياض، السابح في السكون إلا من صوت الريح، وصوت الموج يأتي من بعيد، خلف تلة صغيرة، وإلى يسار المدخل قليلا، وفي الخط الفاصل تماما بين البحر الكبير والشاطئ، تقف صخرة شامخة، تؤنسها في وحدتها أخرى أصغر كأنها طائر الببغاء ينظر لها برجاء، وفي منتصف الصخرة الأم فتحة تقودك إلى قلبها المنفتح أيضا من جهة البحر، فيصبح قلب الصخرة كقلب كليوباترا، تدخل له الدماء كل خفقة بحر، وكل موجة آتية من الشمال.

تحرك الأربعة نحو الصخرة العجيبة، وتساءل آندي:

- لماذا تركت كليوباترا العالم كله، لتأتي إلى هذا الشاطئ الصخري النائي؟ هل كانت في طريقها لليبيا أو تونس الخضراء، ولم تبلغ مقصدها مع أنطونيو؟

- هل ليبيا قريبة من هنا؟

- نعم حوالي 280 كيلو غربا بعد السلوم مباشرة.

علقت إيما:

- ربما كانت تود أن تختلي بأنطونيو بعيدا عن الحراس.

رمقها أمجد معترضا وقائلا باندفاع:

- وهل المرأة مهما كانت لها الحق في أن تفعل هذا؟

ردت إيما بشكل حاسم:

- المرأة تحب أن تفعل ما لا تتخيله.

نظر لها أمجد بغرابة شديدة.

فتدخل حاتم قائلا:

-بعدنا بقليل شاطئ الغرام، ربما شهد جانب من علاقتهما أيضا، خاصة صخرته الشهيرة بليلى مراد، هل تعرفون أنه قد تم تصوير فيلم سينمائي مصري عندها فعلا في بداية الخمسينات؟

-نعم، أخبرنا والدي فعلا بذلك.

وقفوا جميعًا أمام صخرة كليوباترا، وهنا صاح آندي بصوت عالٍ:

- جدتي العظيمة، يا من أبهرتِ العالم بجمالك ومغامراتك، كم أحبك على الرغم من كونك غريبة الأطوار.

ضحكوا جميعًا، ودخلوا تباعا إلى الداخل عبر الفتحة الصغيرة إلى قلب الصخرة، الذي لا يهدأ من صخب الأمواج المتلاحقة، صيحات النجاح والمغامرة تتعالى من الشباب، يتماسكون سويًّا كي لا تنزلق أقدامهم، يتعمد أمجد أن يساند "إيما" برفق وحنان، ويخرجون كما يخرج الطفل من رحم أمه، فتتلقفهم أيادي الشمس الممتدة إلى الأرض مرحبة بولادتهم الجديدة.

جلسوا جميعًا تحت مظلة كانت معهم، وسأل أمجد آندي:

- ليه كنت بتقول جدتك العظيمة، مع إنها مصرية.

- هي كانت مصرية، لكن أصولها يونانية يا أمجد، الإسكندر الأكبر يوناني، وهو اللي أسس الإسكندرية اللي أصبحت عاصمة مصر وحكمتها الأسرة البطلمية (نسبة لبطلميوس) قائد الإسكندرية وحاكم مصر هو وأسرته من بعده.

أضاف حاتم:

- واللي كليوباترا تبقى آخر ملوكهم.

اندهش أمجد قائلا:

- يعني احنا قرايب برضه!

ضحكوا جميعًا، وتساءلت إيما:

- أنتم لم تدرسوا هذا التاريخ!

- مع الأسف كان التركيز قليلًا جدا على هذا الجزء من التاريخ، ولا أعرف لماذا!

- أكيد تاريخ قدماء المصريين يحتل جزءًا كبيرًا من مناهج الدراسة.

نظر أمجد إلى حاتم وتلعثم قليلا:

- ليس كما تتخيلين، نعرف بعض الملوك بعينهم، كأحمس ورمسيس الثاني وتوت عنخ آمون وإخناتون، لكن حتى القصص المقررة في منهج اللغة العربية كلها عن أبطال إسلاميين فقط.

تعجبت إيما وقالت مندهشة:

- غريبة، أنتم أكثر شعب يمتلك حضارة عظيمة، كنت أعتقد أن معظم مناهجكم الدراسية عن هذا التاريخ، وعن عادات المصريين القدماء، وأخلاقهم، وعلمهم العظيم، وأساطيرهم الشهيرة.

رد حاتم ضاحكا:

- يمكن خايفين علينا نصبح عظماء زيهم.

ثم تساءل:

- نعود إلى كليوباترا، أتعجب جدا لماذا لم يجدوا مقبرتها، تخيلوا لو وجدوها سيصبح حدثًا عالميًّا.

- واو.. ستعود كليوباترا ترج العالم من جديد، هل تعتقد أن مقبرتها من الممكن أن تكون في مطروح؟

- صعب يا آندي، لكن أعتقد أنها في مكان ما بالإسكندرية، ربما في مكان ما تحت الأرض، تاريخنا لا يزال يحمل كثيرًا من الأسرار.

كان الجوع والعطش قد استبد بهم جميعًا، فأخرج كل منهم طعامه، إيما وزعت شطائر.

- اتفضلوا شطائر سوفلاكي تشيكين.

قال حاتم سعيدا:

- أسمع عن السوفلاكي، كنت فاكره مشروب.

- إنه طريقة لعمل اللحوم أو الدجاج بالزبادي بالطريقة اليونانية.

تبادل الأصدقاء الشطائر، وكان آخرها ما أخرجه أمجد من حقيبته قائلا

- دي بقى مفاجأة الرحلة، شطائر بيض بالعجوة، تحمر العجوة في سمن بلدي، ثم يكسر فوقها البيض الطازج، حتى ينضج وتقدم ساخنة.

نظروا جميعًا لبعضهم بعضًا مندهشين من هذا الاختراع، وتناولوها باستغراب، لكنهم جميعا دهشوا من جمالها، ومذاقها المميز، حتى قالت إيما:

- رائعة، لكن مشكلتها في السعرات الحرارية الكبيرة!

- حقيقي، بس مناسبة ليوم البحر بالتأكيد.

قبل أن يتحركوا، لمحوا حيوانًا صغيرًا يقفز لجحره تحت أكمة صغيرة، صاح أمجد:

-هل رأيتم هذا الحيوان؟

- نعم، أعتقد أنه فأر كبير.

- أو أرنب بري صغير.

ضحك أمجد قائلا:

- لأ.. ده جربوع، حيوان بين الفأر والأرنب، فيه أولاد بيصطادوه ويتاكل.

- أكلته قبل كده يا أمجد؟

- لا..

قاموا من المكان سريعا بناء على رغبة إيما لخوفها من الجربوع، وأكملوا رحلتهم لشاطئ الغرام، حيث نزلوا جميعًا للبحر الشفاف في يوم لا يُنسى.

حين يسبح البشر في البحر، تتفتت دفاعاتهم المصطنعة، تنفجر ضحكاتهم البريئة، لكن ماء البحر في مطروح يضفي على السابحين سلامًا، كأنه يذكرهم بهذا السائل الذي كان يحوطهم في أرحام أمهاتهم قبل الولادة، خاصة حين يستلقون على ظهورهم، وعيونهم نحو السماء، والأمواج الرقيقة المالحة ترفعهم ولا يسقطون، يمدّون الأذرع بشكل متعامد على أجسادهم، فتغفى العيون.

يستيقظ أمجد من غفوته تلك على يد تسحبه على غفلة، إنها إيما وآندي يجذبونه بقوة وقد تعالى ضحكهم وصيحاتهم.

8
أمنية

عرفت الشِّلَّة بأمر تعلّق حاتم بالفتاة الجميلة أمنية يوم رحلة كليوباترا، كان استغراب آندي من حالة الشباب، الذي يحب فتاة، ولكنه يجد مشقة كبيرة في التعرف إليها، أو الكلام معها، الأمر الذي أحبط أمجد وحاتم وتساءلا في الوقت نفسه:

- نفهم من كلامك انكم في بلادكم تستطيعون الحديث بسهولة مع أيّة فتاة تعجبكم؟

رد آندي:

-نعم، المجتمع متفهم لطبيعة السّن، وأن الحوار والتعارف أمر صحي.

-وهل تستطيع الفتاة الخروج مع صديقها مثلا؟

-ممكن، حسب تقاليد العائلة، وظروفها، حاليا إحنا لازم نفكر كيف يتكلم حاتم مع هذه الفتاة، كيف يقابلها؟

أجاب حاتم يائسا:

- أعتقد ده شيء مستحيل.

سأل آندي

-أنتم تعرفون أين بيتها، أليس كذلك؟

-نعم.

- إذن نتقابل مساء اليوم لتعرفوا خطتي.

في مساء اليوم نفسه، تقابل الأصدقاء الثلاثة في مقهى صغير قبل بوابة المستشفى العام، قريبا من بيت أمنية، الجو في الليل تحت أشجار الجازورين الضخمة بديع، منضدة صغيرة نائية، التفّ حولها الثلاثة، أخرج آندي من بنطاله ورقة صغيرة وقلم رصاص قديم ووضعهم أمام حاتم قائلا:

- شوف عاوز تكتب لها إيه؟

- مين دي؟

- أمنية!

- ودي حتروح ازاي لها الورقة دي؟

- أنا هتصرف

رد مذهولا:

- نعم.. تتصرف.. تتصرف ازاي يا خواجة!!

- إيه خواجة دي؟

ضحك أمجد قائلا:

- خواجة دي لقب يطلق على الأجنبي غير المصري.

- طالما أنتم مش عارفين تتصرفوا، أتصرف أنا على طريقة الخواجة.

ضحك الاثنان من طريقة كلامه.

- أيوه، تتصرف ازاي؟

آندي:

- أولا هي ممكن تكون مش عارفة أنت حتى اسمك إيه!

- ده أكيد.

آندي

- يعني أنت لا وجود لك عندها، لازم هي تعرف إن فيه شخص اسمه حاتم، وتعرف شكله، وإن حاتم ده معجب بيها، هي ممكن تتجاوب، أو ترفض وتنتهي القصة، لكن أنت متعلق بها عاطفيا وعايش قصة غريبة.

قال حاتم وقد أبدى اقتناعا:

- طب والعمل؟

- نكتب جواب صغير، ونبعته ليها.

- خطاب سيصل لها بعد أسبوع أو أكثر!!

- لن نرسله لها بالبريد.

- وبأيّة طريقة سنرسله؟

- الليلة يجب أن تستلمه، أنت تتسلق العمارة لنافذة غرفتها.

نظر حاتم لأمجد وانفجرا ضاحكين، وسط دهشة آندي من ضحكهما الهستيري، وقال أمجد:

- أنت عارف إحنا ممكن البوليس يقبض علينا!

- أنت في لحظة تكون متسلق الحائط، وترمي لها الورقة اللي فيها ميعاد لقاء مثلا.

- يا آندي الكلام ده ممكن يحصل في إيطاليا واليونان، لكن هنا حتبقى فضيحة.

رمقهم آندي بنظرة استنكار لما يقولونه.

- يجب أن تفعل أي شيء للوصول لها.

- يعني أصبح كالحرامي، لا.. لن أتسلق.

سكت آندي برهة من الوقت مستغرقا في تفكيره، حتى قال:

- اكتب الورقة وأنا أتسلق.

- هل قال لك أحد قبل الآن أنك مجنون!

ضحك آندي من كلامه، ورد:

- اكتب كلمتين.

قام بعدها الثلاثة بكل هدوء واتجهوا صوب منزل أمنية، كان الوقت قبل منتصف الليل بقليل، والشوارع خالية، وعامود نور وحيد يلقي ضوءه الضئيل من بعيد، الظلام يسيطر على الطريق، إلا من كلب ينبح من بعيد، وصرير صرصور الليل يُطَمئِن الأصدقاء قليلا، يأخذ آندي الورقة الصغيرة من حاتم ويضعها ملفوفة خلف أذنه، يقف مع أمجد وحاتم خلف بناية بجوار بنايتها يرقبان الشرفات ويتأكدون أنها خالية من سكانها، يتوجه آندي بخطى ثابتة نحو عمارتها، ويبدأ التسلق، يضع قدما على تفريعة ماسورة صرف، ثم على سور شرفة، والأخرى على حديد منشرٍ نافذةٍ وهكذا صعد برشاقة للدور الثالث قرب نافذتها المفتوحة، يكتم حاتم وأمجد أنفاسهما، يدعوان الله ألا يسقط صديقهما، يراقبان الموقف عن كثب وكلهما تحفز، يقترب جدا من نافذتها يأخذ اللفافة من خلف أذنه، ويكاد يرميها للشباك، يرميها بالفعل ولكن في

اللحظة نفسها تنزلق قدمه، يكتم صرخته كي لا يفتضح أمره، يسقط على أحبال منشر غسيل الشرفة بالدور الأول، وقبل أن يسقط على الأرض تتلقفه أيدي أمجد وحاتم كأنها أذرع الرحمة الربانية تمنعه من السقوط المروع، أقدامهم الستة تسابق الريح في الابتعاد عن المكان، وقبل أن يذهبوا بعيدًا يلقي حاتم نظرة خاطفة على شباك أمنية، فوجده مفتوحًا وكأن خيالها ينظر للشارع ماذا يحدث فيه؟

تقطعت أنفاسهم من هول ما حدث، وجلسا على رصيف أحد الشوارع الهادئة يضحكون ويكاد يغمى على حاتم من الرعب.

- لقد قلت ضاع آندي، لم أشعر إلا وهو في أحضاني.

وأضاف أمجد لاهثا:

- كنا سنكون بالمستشفى الآن لولا سرعتنا في الجري إليك.

- لقد رأيت جانبًا منها بالفعل جالسة على فراشها، ورميت الورقة ولا أدري أسقطت داخل الغرفة أم خارجها، أعتقد يجب أن نعود لنرى هل سقطت في الشارع؟

عقب أمجد:

- لا يمكن أبدا نرجع تاني، مش مهم بقى.

-وأنا كمان اسمي فيها بس مش حنرجع هناك، ربنا ستر.

قبل أن يفترقا سريعا، شد حاتم على يد آندي قائلا:

- بشكرك، أنت عرضت نفسك للخطر عشاني، شجعتني أتصرف بنفسي.

بعد يومين استيقظ حاتم مبكرا عن ميعاده، صنع لنفسه كوب الشاي بالحليب، وخرج لشرفة منزلهم في هذا الصباح الناعم، يبتسم لنفسه كلما تذكر مغامرته مع الشلة، ويتذكر أمنية ويتساءل، ماذا تفعل الآن؟ ينظر متكاسلا للشارع، وفجأة يلمحها هي وصديقتها متجهتين لاجتماع لزهرات الكشافة وترتديان الملابس بنية اللون المميزة لزهرات الكشافة، والبيريه المميز لهن فوق شعورهن، يقف في الشرفة يتابعها بعيونه، يشعر بأنها تلمحه هي الأخرى، تتجمد قدماه في مكانها حتى تغيب عن ناظره، لابد أن يتعرف إليها، لكن كيف، لن يستطع إيقافها على الطريق للسلام والحديث كما يحدث في أثينا أو روما، لكنه يجب أن يتصرف بلا حماقة هذه المرة، تلمع في ذهنه خطة ممكنة، ولكن يجب أن تستيقظ أخته سوزان لتنقذه.

تفهمت سوزان الموقف باندهاش قليل، فلأول مرة يطلب منها حاتم المساعدة، وأحست بقيمتها، وأسعدتها ثقته فيها، نزلا مسرعين بحجة شراء كتاب من شارع الإسكندرية، وعادا في الميعاد المتوقع نفسه

أن تعود أمنية فيه، وبالفعل تقابلا وجها لوجه، حاتم وسوزان مقابل أمنية وصديقتها، تقدمت سوزان لها بكل ثقة وهي تمد يدها بالسلام قائلة:

- أنت أمنية؟

ردت مندهشة بوجهها الصبوح:

- أهلا بيكِ، أيوه.

- أنا سمعتك بتغني في النادي، وكان نفسي أتعرف عليكِ، ده أخويا حاتم.

نظرت باندهاش له قائلة:

- أهلا يا حاتم، ودي صديقتي أشجان.

لم تخف أشجان اندهاشها هي الأخرى وابتسمت بخبث وهي تقول:

- حاتم.. اهاااا

تبادلا أرقام الهواتف الأرضية على أمل اللقاء في يوم آخر، وودعتهما وحاتم يقفز قلبه من الفرح، وأمنية تنظر له بنظرات متفحصة، جعلته يسائل نفسه؛ هل سقطت الورقة فعلا في غرفتها! يبدو ذلك من نظرات صديقتها أشجان وابتسامتها الخبيثة، وجملتها "حاتم.. أهاااا"

عاد إلى المنزل وهو يسترجع شريط هذا اللقاء العابر.. صورتها وهي مقدمة عليهم، كأنه شريط سينمائي بطيء، يسترجع كل حركاتها، إيماءاتها، ونظراتها التي سددتها إليه تتفحصه، قوامها الرشيق، نور بشرتها البيضاء، شعرها الناعم المنسدل كجدائل الحرير، عيونها التي تقفز منها الشجاعة والشقاوة، بشاشتها الملهمة.. يا الله لكم يتمنى أن يعيش معها العمر كله.

9
ســـوزان

تصغره بعامين فقط، لكنه يعرف جيدا أنها نضجت سريعا، ليست طويلة مثله، لكنها ذكية، ولديها قدرة عجيبة على التعرف سريعا إلى قريناتها من البنات، لا تعتبر سوزان فتاة مدللة، لكنها تتمتع بشخصية غريبة، فهي تستطيع أن تجاري كل طبقة أو نوعية من نوعيات البنات بالشكل المناسب لها، لطالما تعجب كيف تملك هذه المهارة الفريدة، ألأنها تشاهد الأفلام السينمائية وتجلس مستغرقة فيها، مأخوذة بها تماما، أم كلما كونت صداقات تجددت لديها خلايا المخ المحفزة للتعارف والتآلف! يتذكر جيدا كيف صادقت الأسبوع الماضي ابنة أحد جيرانهم المصطافين، ومن خلالها تعرفت الأسرة إليهم واتضح أن والدها مذيع شهير في النشرات الإخبارية، وصوته المجلجل الواثق وهو يقول "هنا القاهرة" علامة من علامات البرنامج العام.

عن طريق الهاتف تواصلت سوزان مع أمنية، وتوطدت علاقتهما كثيرا، حتى فوجئ يوما أنها تستعد لتزورها في بيتها بعلم الروم، وكلفته والدته بالذهاب لتوصيلها، وهو لا يصدق ما يحدث ويرقص قلبه فرحا، وفي الطريق قال لسوزان:

- اذكريني بالخير الله يكرمك.
- تدفع كام؟
- هجيب لك شيكولاته واحنا راجعين

ابتسمت بخبث قائلة:

- وكتاب لأجاثا كريستي، جديد.
- ماشي، أمري لله

لاحت لهما العمارة فقال لها:

- هي دي العمارة؟
- أنت بتستهبل طبعا، أنت أكيد عارفها

ابتسم بخبث، كانت أمنية في النافذة هي وصديقتها تلوح لهما، ولوح لها حاتم وكأن روحه ترفرف فرحا، وتركها تصعد لهما بمفردها وعاد إليهن بعد ساعتين لاصطحاب أخته للعودة كما اتفقوا، قفز فوق سلالم العمارة حتى شقتهم في ثوانٍ، طرق الباب بخفة، فتحت والدة أمنية الباب

ورحبت به، لكنه تعفف عن الدخول واكتفى بالوقوف على السلم، حتى خرجت سوزان وصديقتاها، سلم عليهن وهو لا يستطع أن يدير وجهه عن عيون أمنية مستمتعا بكل ثانية، بينما دقات قلبه المتسارعة تعقد لسانه عن الكلام.

نزلا من بيتهم، وما أن ابتعدا قليلا، حتى باغتها قائلا:

- احكي لي.

- أمنية دي بنت مؤدبة وجميلة.

- ما أنا عارف..

- والدها بيشتغل هنا جديد زي بابا، ومامتها ست بيت لا تعمل، وهي متفوقة جدا في دراستها، ونفسها تدخل كلية طب الأسنان.

- ياه، بدأنا في المعلومات المهمة.

- وزي حلاتنا كده، بتحب القراءة والرحلات والغناء في الكورال، بتحب فيروز وفريد وعبد الحليم طبعا، قضينا وقت جميل جدا مع بعض ومعانا صديقتها أشجان، على طول مع بعض مش بيفترقوا، أشجان كمان طيبة بس الشقاوة بتنط منها، على فكرة هي أكبر من أمنية وبتقول إنها هتتخطب قريب.

- ما سألتش عني؟

- لا، كانت حريصة، سألتني عن أسرتي عموما زي ما أنا سألتها، بس أنا قلت لها إن حاتم معجب بصوتك جدا.

- يا رب يسعدك يا سوزي، تعالي بقى نشتري الكتاب

وقفا عند الكشك الوحيد للكتب في شارع الإسكندرية، واشترى لها كتابًا للكاتبة الإنجليزية الشهيرة أجاثا كريستي، لكنها سألته:

- والشيكولاتة؟

- أيوه من عند أبو الدهب جنبنا.

- بص دي قصص سلوى حجازي، ماما سلوى.. فاكرها

- طبعا، الله يرحمها، فاكر لما ماتت في حادث طيارة؟

- على فكرة عرفت النهار ده إن أمنية بتحبها.

- ماما سلوى كنا كلنا بنحبها، زي ماما فضيلة كده.

- كنت عاوزة أسألك سؤال.

- خير؟

- أنت ليه حبيت أمنية؟

شرد حاتم قليلا يحاول أن يجد إجابة، ونظر لسوزان قائلا:

- مش عارف، لما غنت في الحفلة حسيت إني بطير في السما، يمكن كلمات الأغنية روحانية وجميلة، لكن لما دققت في ملامحها وهي مندمجة

تغني حسيت بالفرحة والسلام:

- سيدي يا سيدي..

حين قابل أمجد وآندي مساءً، شرح لهما التطورات في معرفة سوزان بأمنية، وكيف أنه اقترب كثيرا من الوصول لها وقال له أمجد

- يا بختك

- ليه؟

- عندك أختك سوزان أنقذتك.

سرح حاتم فعلا في أخته سوزان لثوانٍ، يتذكر يوم ذهابها للمدرسة أول مرة بمريلتها ولبسها الأنيق، وضفيرتان تكللانها فيونكات بيضاء، لم تبكِ، ولم ترتبك، بدت وكأنها تحقق إنجازًا حتى نزولها على السلم لم تمسك بيد والدتها التي رافقتها أول يوم.

يتذكر مشاركتها له في اللعب دوما، وكيف أنها تراه مثلًا أعلى، كانت تقلده كثيرا وهي صغيرة لدرجة خوف أمها عليها من أن تفقد أنوثتها، لكن يبدو أن هذا الأثر ظل موجودًا وبارزًا في شجاعتها، وإقدامها وجدعنتها كما يقولون عنها. أسفر التقارب الجديد الذي بدأته سوزان عن تعارف الأسرتين، واتفقوا على قضاء يوم في شواط عجيبة والأُبيِّض.

10
عجـيبة

الحب مفاعل نووي، بركان طاقة وحماسة يندلع ممن أصابه هذا الفيروس الذي لا يُرى، ولكننا نستعذبه ونتغنى به، وفي الوقت نفسه نشكو منه ومن لياليه المضنية، هكذا فعل الحب بحاتم، امتلأ حماسة وطاقة، شعر كل من كانوا حوله أنه نضج فجأة، كما كثر شروده وسهره، في اليوم الموعود تحركت السيارات بأسرة حاتم وسيارة أخرى بأسرة أمنية، أما حاتم فقد ذهب مع أصدقائه أمجد وآندي وإيما، تحرك الركب نحو شاطئ عجيبة الذي يبعد حوالي أربعة وعشرين كيلومترًا غربا، تحركوا تباعا عبر طريق قرية "القصر" الساحلي، بعد قليل وقف أمجد متشبثا بدعامة السيارة وأشار لهم لمنطقة عسكرية شمال الطريق صائحًا:

- هنا كان الجيش الليبي يعسكر.

تعجب حاتم وتساءل مندهشا:

- جيش ليبي، أنت متأكد!

- طبعا، كان قائد المعسكر متزوج واستطاع تأجير شقة بجوارنا في المنزل، وكنا نستقبله وزوجته أحيانا، زوجته كانت تعتبر أمي بمثابة أم لها وكنا ساعات نوصل للمعسكر مع أصدقائي عند البوابة نسلم عليهم، ويوزعوا علينا شيكولاته وأقراص مغلفة، لما تضعها في الماء بقى مشروب خفيف جميل.

- كان امتى؟

- قبل حرب أكتوبر، لكن بعدها رجعوا ليبيا.

الطريق ممهد حتى شاطئ الأُبيِّض ثم بعد ذلك غير ممهد، عبروا قرية "أم الرخَمْ" الهادئة، وقبيل شاطئ عجيبة تسرع السيارات لتصعد الهضبة المرتفعة بصعوبة، تقف فوقها وينزلون جميعًا من السيارات مترجلين، يقتربون من الحافة البحرية الغربية للهضبة، فإذا المشهد الأخّاذ حيث البحر يمتد داخلها بلونه اللازوردي يفصح عن مكنونه من صخور سوداء وبنية في أعماقه، الهضبة المحيطة تشققت جدرانها عرضيا من جراء اندفاع الريح، فتظهر وكأنها رقائق صفراء متراصة تحتضن البحر في منظر عجيب، على هذا الشاطئ تمدد الممثل شكري سرحان أمام الكاميرات يصور مشاهدَ من الفيلم الشهير "رد قلبي"، ابتسم حاتم حين تذكر

المشهد، وكأنه يقارن حبه لأمنية بحب "علي" بطل رواية رد قلبي لحبيبته الأميرة "إنجي".

ينزلون جميعًا على المنحدر الصعب حتى الشاطئ الرملي الصغير، يحاول الشباب أن يساعدوا الأمهات والبنات في النزول بحذر للشاطئ الذي أفصح حين داسوا بأقدامهم عن رماله أن حبيباته كبيرة شبيهة باللؤلؤ تزين الشاطئ الصغير، لم تغب أمنية عن عيون حاتم طوال الرحلة، كل حركاتها وضحكاتها مع سوزان وأشجان زميلتها تزيدها جلالًا في عينيه، ويتشبث بها أكثر وأكثر، بعد الجولة بشاطئ عجيبة يصعدون جميعًا مرة أخرى للسيارات، ويعودون لشاطئ الأُبيِّض حيث يستقرون لنهاية اليوم.

بمجرد وصولهم الشاطئ ونصب المظلات، خلع الشباب ثيابهم سريعا وغطسوا في البحر، وتبعتهم البنات كلهم بأردية البحر التقليدية المكونة من قطعة واحدة، إلا إيما فكان رداؤها مكونًا من قطعتين كما اعتادت في بلادها، صخبهم يهتك سكون الشاطئ النائي، المرح والسعادة تعمهم جميعًا، ترتفع كرة الماء ويتبارون في الفوز بها، في العصاري بعد البحر يخرجون جميعًا ويفتك بهم الجوع، يتلقفون الشطائر حول أهلهم السعداء بشبابهم، ويستكملون أحاديث الكبار التي لا تنتهي.

- عارف يا أستاذ عماد، القذافي أكيد عنده معلومات عن تحركات سياسية بيقوم بيها السادات.

- القذافي تلميذ عبد الناصر وماشي على النهج نفسه، لا تصالح مع إسرائيل.

- إحنا كمان في صراع معاها من ثلاثين سنة، وحروب خضناها وشهداء ومعاناة لحد النهار ده.

- ما تنساش يا أستاذ زويل إن ما فيش حروب بتستمر للأبد.

- حقيقي، بس التخوفات كبيرة جدا، القذافي في ليبيا مش ساكت.

- سمعت إنهم عاوزين يعملوا مسيرة فيها وفود شعبية لمقابلة السادات، مطالبهم وحدة عربية كاملة.

بدأ الشباب ينصرفون عن الكلام في السياسة بعدما امتلأت البطون بما لذ وطاب، وبدءوا يمارسون التمشية على شاطئ البحر شبه الخالي، وأمواجه الهادئة المتلاحقة، انتهز حاتم الفرصة لينفرد قليلا بأمنية قائلا:

- عرفت إنك عاوزة تدخلي كلية طب الأسنان، كلية جميلة.

- وأنت نفسك تدخل إيه؟

- كنت عاوز طب بشري، بس دلوقتي بفكر أدخل أسنان.

انفجرت أمنية ضاحكة وتساءلت بخبث:

- ليه؟

- عشان هشوفك فيها أكتر.

- يا سلام، أنت ممكن تغير مستقبلك عشان تشوفني!

- إحنا مش بنلاقي الناس اللي نفسنا نبقى معاهم عمرنا كله إلا نادرًا.

احمرت وجنتاها الجميلتان خجلا، وقالت بحسم:

- أشكرك والله، بس احنا لسه بدري علينا قوي.

- اختياراتنا كمان قليلة قوي.

- قل لي، من كام أسبوع لقيت ورقة اترمت في غرفتي، على الرغم من إني في التالت ودربكة وكأن ناس بتجري.. طلعت بصيت، لكن ما ميزتش حاجة.

ارتبك حاتم جدا، وتسارعت دقات قلبه، وأحس بدوخة خفيفة تجتاحه، ظهر عليه الارتباك، وتوقف لا يدري ماذا يقول لها، أينكر؟ أم يقول لها الحقيقة، وبادرته قائلة:

- من غير كدب.

فتحت له هذه الجملة الباب على مصراعيه كي يزيح عن كاهله عبء الحدث كله:

- الحقيقة إنها كانت فكرة آندي المجنونة، هو اللي اقترح وهو برضه اللي نفذ، وكان ممكن يقع وتنكسر رقبته، لولا حبل الغسيل أنقذه.

دهشتها من الحدث لم يمنع فرحتها به، وعقبت عليه بسرعة:

- أنتم مجانين، كل ده عشان إيه؟

في هذه اللحظة كانت شمس العصاري تلقي أشعتها على عيونها المتسائلة، فنظر لها ليكتشف صفاء عيونها العسلية، تسبح في نور الشمس المشرقة بكل حيوية وعنفوان، ضحك حاتم قائلا:

- خلاص سماح، عمرنا ما حنعمل كده تاني.

قالت بلهجة آمرة مرحة:

- لا معايا، ولا مع واحدة تانية.

- السماح يا أهل السماح.

لحقوا بالمجموعة وحاتم يشعر براحة كبيرة وسعادة بالغة.

بعد عودتهم جميعًا للمظلات، قررت الأسر الاكتفاء بهذا اليوم الجميل، لكن الشباب والبنات أصروا على العودة بالسيارة الجيب المكشوفة، جلسوا محشورين، وفي لمح البصر انطلقت السيارة، وهم

يصيحون ويصرخون، وجدت سوزان معها كيس فول سوداني تقاسموه جميعًا وبدءوا إلقائه لبعضهم بعضًا كالقرود يلتقطونه بأفواههم، تتطاير حبات الفول السوداني في الهواء وتتطاير شعور البنات وأحلامهن، وآمال الشباب ومشاعرهم، جميعهم لا يكفون عن الضحك حتى الدموع.

11
توفيق جرجاوي

في العمارة الصغيرة تعرف حاتم إلى الجيران، عبر أمه وشخصيتها الاجتماعية البشوشة التي تلاقى الناس جميعا بالترحاب نفسه والابتسامة الجميلة، فتنفتح لها القلوب بسرعة البرق، طيبتها وتفهمها، وتذوقها الفني للأشياء، قوارب تعبر بهم من جزرهم المنعزلة فيقترب من شاطئ إنسانيتها الناس آمنين مطمئنين، كما تعرف إلى الجيران عبر سوزان أَحَايِين أخرى، أقرب الجيران كانت السيدة سميحة وزوجها الأستاذ توفيق جرجاوي، وأصلهما من جرجا بسوهاج، يقطنان الطابق الأرضي، طنط سميحة صاحبة الأمومة الحانية والهدوء الجمّ والأدب التلقائي، كما أنها صاحبة أجمل روائح الطبيخ بالعمارة، في النهار تطح البن بمطحنة نحاسية، فتخرج رائحة القهوة طازجة تضاهي مطاحن البن البرازيلي بشارع سعد زغلول، كما تشتهر برائحة تدميس الفول المميز، التي تنبعث طوال الليل، فتثير شهية جميع من في المنزل، وعلى الرغم من أن الله رزقها بالبنين والبنات إلا أن محبتها لحاتم كانت كبيرة، تلح عليه كلما مرّ بها

لطلب رأس ثوم، أو بصلة يسعف بها أمه وقت الطبيخ، تلح عليه أن يصبح طبيبا، يبتسم بخجل ويقدر محبتها له، أطباق الحلويات لا تنقطع بين البابين ذهابا وجيئة، وكأنها أطباق المحبة تسري بين الأسرتين.

أما الأمر الغريب الذي كان يستعجب منه حاتم، فهو عم توفيق، الذي كان لا يختلف عن زوجته في الهدوء والأدب الجمّ، بسيط رقيق، لا يرتدي إلا البدلة الكاملة في عمله أو مشاويره وبرباطة العنق لا يستغني عنهم أبدًا، يستيقظ مبكرا جدا، ويجلس في الشرفة صباحا، يجلس بجوار السور يستمتع بهدوء الشارع، ووداعة النهار الرشيق، يشرب قهوته الصباحية من يد زوجته ويستمع للراديو بصوت خفيض، كل هذا لا غبار عليه، أما العجيب في الأمر، ففي ما يسمعه بالإذاعة، إذ كان يواظب بشكل يومي على الاستماع للقرآن الكريم، وعلى الرغم من أنه قبطي، إلا أنه كان حريصا على هذه العادة التي لا يعرفها إلا قليلٌ جدا من أهل المدينة، أكان يستمتع بصوت القراء العذب الجميل أمثال الطبلاوي ومحمد رفعت وعبد الباسط، أم كان يتعرف على ثقافة غالبية الجيران والأصدقاء، أم كان ينفتح بعقله على كل المعتقدات والأديان، لا أحد يعرف على وَجْه الدّقة!

الجار الثاني كانت السيدة غالية زوجة الأستاذ رمزي شعبان، قدما من كفر الشيخ منذ سنوات قليلة، مازالت مفاهيم الدوار والحاجة للاكتفاء الذاتي بالبيت دون اللجوء للسوق وأسعاره المرتفعة، دفعتهما لتربية الدجاج في عشة صغيرة بالشرفة الخلفية الملحقة بالمطبخ، وفي الصالون المذهب من العادي أن تجد الأرانب تقفز تحت الكراسي، ورائحتهم المميزة لا تتيح للزوار المكوث طويلا، عند قدومهم من زيارة ذويهم في كفر الشيخ يعودون محملين بالسمن البلدي والعسل والجبن القديم، حتى خبز الذرة لا يتورعون عن حمله في مؤنة قد تكفيهم شهورًا، لم تستطع الست غالية التخلص من لهجتها الفلاحة بعد، وانخرطت في إنجاب الأطفال، والعمل في المطبخ ما ظهر سريعا على زوجها بكرشه المنتفخ، ولغده الذي تكون عبر السنين، لكنه كان شخصية مرحة وبشوشة جدا، ويعرف كيف يتعامل مع كل مستويات البشر فأحبوه جميعًا.

الجار الأخير كان أستاذ سليمان، رجل قويّ البنيان، تحسبه مصارعا قديما، متزوج من سيدة سورية قصيرة القامة، ولديهما ثلاث بنات وولد، كانت أسرة متحفظة جدًّا، ولا يسمع منهم أي صوت باستثناء صوت الوالد الجهوري وهو يصرخ طلبًا لشيء أو موبخا أحدًا من بناته، أو حتى

زوجته، يحدث ذلك بشكل يومي تقريبا، وهو ما تأثر به جميع الجيران فكان انفتاحهم على من حولهم يكاد يكون قليلا جدا.

بعد أيام قليلة من رحلة عجيبة والأُبَيض، توفي فجأة عم توفيق الجار المسالم الجميل، حزنت عليه زوجته المحبة طنط سميحة بشكل كبير جدا، فقد كان هو محور حياتها مع رعاية أولادها وبناتها، اتشح البيت كله بالسواد، أشعلت البخور وعلت الصلوات في بيته حتى ميعاد الجنازة، أدخل التابوت في سيارة سوداء مخصصة للجنازات، وذهب جميع الجيران للصلاة عليه في كنيسة العذراء الوحيدة بالمدينة بشارع زاهر جلال، في المساء مر حاتم على آندي واصطحبه للعزاء بالكنيسة بما أنه مسيحي أصلا وهو ما قبله آندي على مضض دعما لصديقه ليس إلا، كما حضر العزاء كل جيران الفقيد المسلمين، كان هذا أول عزاء لشخص مسيحي يحضره حاتم، على جدران الكنيسة وعلى النوافذ رسوم ملونة كثيرة لرجال لا يعرفهم، لحاهم بيضاء طويلة، وملابسهم كملابس السيد المسيح، التي تتوسط رسمته القاعة وحول رءوسهم هالات صفراء، استنتج حاتم أنهم ربما يكونون الحواريين أو قديسين آخرين، أنصت بعمق لما يقوله القساوسة في عظاتهم، وبعد أن انتهى العزاء سلم على جارتهم الطيبة زوجة الفقيد التي عانقته بشدة وشكرته على حضوره، كما

قدم العزاء لأبنائه وخرج مع آندي، قاصدين أوتيل دي روز أو هذا البيت الأبيض الجميل القابع بين الأشجار الكازورين الضخمة بامتداد شارع الجلاء، الفندق بسيط البناء له شرفات مميزة، وحديقة ليست كبيرة تنمو فيها الأشجار والزهور، جلسا على منضدة بها، وحاتم يتجول بنظره في المكان قائلا:

- أول مرة أحضر هنا

- أوتيل دي روز، أسسه التاجر اليوناني "كرياكوس باتراقاس"، واحد من أوائل اليونانيين الذين قدموا مطروح من الأناضول للعمل بالتجارة، هربًا من الحرب الأهلية في اليونان، فعمل بصيد الإسفنج مع الصيادين اليونانيين أو ما يُطلق عليهم الشخبوري، وبنى الأوتيل في العشرينات من القرن الماضي.

- جميل قوي، جماله في بساطته.

- كان أوتيل كل اليونانيين وغير المصريين اللي بيزوروا مطروح، مع البوسيت وفندق ريو.

- مريح جدا بالفعل.

داعبه حاتم بالإنجليزية:

- طبعا أنت ما فهمتش حاجة في العزاء.

- كله بالعربية يا حاتم، لكن أنا أعلم ما يقال في هذه المناسبات، حضرت عزاء جيران وأقارب لي في اليونان، احنا مسيحيين أورثوذوكس أيضا.

- أنا أول مرة أحضر عزاء شخص مسيحي، لكن أقول لك الصدق، على الرغم من اختلاف الطقوس والكلمات، لكن المعاني كانت واحدة بين المسلمين والمسيحيين.

- كيف، أنا لم أفهمك؟

- الموت واحد، فقد شخص عزيز، أب أو أم، زوج، أخ ،أخت، شيء في منتهى الصعوبة، روح تتلاشى، وجسد يوارى في التراب، إنسان ينتهي، شيء عجيب!!

- علمونا ما يقوله سقراط: حين يهاجم الموت إنسانًا قد يتعرض الجزء الفاني منه للموت وهو الجسد، أما الخالد: النفس، فإنها تنأى عن طريق الموت، حيث تبقى خالدة سليمة، أنتم كمان في مصر القديمة، ديانتكم المصرية أول ديانة قالت إن عالمنا ما هو إلا عالم مؤقت، وأن الموت هو طريق للعالم الأسعد والخالد، لهذا تم تحنيط الموتى، وبناء مراكب الشمس تعبر بهم للعالم الجديد، عالم الخلود.

نظر له حاتم متعجبا من كلامه قائلا:

- أنت تعرف أشياء أكثر مني عن المصريين القدماء.

ابتسم آندي بخبث قائلا:

- ده ذنبكم أنتم مش ذنبي.

- عندك حق، نحن جهلة بتاريخنا وأفكاره ومعتقداته، تعرف يا آندي، أعرف من أقاربي الأكبر مني أن رحلات الطلبة للأقصر وأسوان في الكليات المصرية تحولت إلى انبهار بالمباني العظيمة، بدون أي فهم لما تعنيه هذه المعابد، وكيف كانت كليات للعلم والمعرفة بالإضافة لكونها دور عبادة.

وفجأة استدار لآندي قائلا:

- عم توفيق كان مسيحي وبيسمع القرآن، وأعتقد أنه سيذهب للجنة، هل تعلم لماذا، ليس لأنه مسيحي أو لأنه يحب الإسلام، ولكن لأنه كان طيبًا جدًّا، لم يؤذِ إنسانًا قط، ولا حتى حيوانًا، الله يرحمه.

ربت آندي على كتفه، بدون أن يتكلم.

12
السيروكو

السيروكو صعب المنال، ليس لأنه قابعٌ بمفرده فوق الجبل، صعب الوصول إليه والعودة منه بدون سيارة خاصة، ولكن لأنه شبه ملهى ليلي وبار، تتعاقد إدارته كل عام مع باند غربي بموسم الصيف فقط ككل ملاهي الإسكندرية التي تلعب فيها فرق معظمها من الهواة وقليل من المحترفين مثل ماكسيم بالمعمورة وأفلاطون بميامي، والكوت دازور بستانلي وملاهي رشدي وكليوباترا والشاطبي ومحطة الرمل، كان أغلبها يقيم حفلات ماتينيه للشباب في السادسة مساءً، أما الأساسية فتبدأ في التاسعة أو العاشرة مساءً وقد تمتد للفجر، وقد عرف الشباب فيها عازفين مهرة مثل إسماعيل توفيق الحكيم، وطلعت زين ومجدي الحسيني وهاني شنودة وعمر خيرت وعزت أبو عوف وغيرهم كثير.

معظم أعضاء باند السيروكو من الهواة، أغلبهم طلبة بالجامعة أو أكبر قليلا، يلعبون بمهارة موسيقى وأغانٍ غربية، وعلى وقع موسيقاهم الصاخبة غالبا يرقص الأولاد والبنات، سعداء الحظ من الزوار يذهبون

في الليالي التي تعج بالشباب من رواد معسكرات الأهلي والجزيرة والشمس من أبناء القاهرة عاصمة الجن والملائكة والسياسة والعلم والحريات، تقام المسابقات للمنافسة كل ليلة حيث تعج حلبة الرقص بالمنافسين المتألقين، بعد الثانية صباحا ينسحب الشباب غالبا لمعسكراتهم، يتوقف الباند، ولكن خدمات المكان تقدم حتى الساعات الأولي من الصباح لتفوح فيها رائحة الخمور لتملأ المكان، وقد تندلع فجأة مشاجرة بلا سبب حقيقي، لكنها تأثيرات الكحول.

تفتق ذهن الشباب على خطة محكمة تسمح للآباء أن يوافقوا على ذهابهم معا في سهرة بالسيروكو، فعبر صديق قديم لحاتم بمعسكر النادي الأهلي قابله مصادفة، اتفقوا على الذهاب له بمعسكر النادي والتحرك معهم للسيروكو، حاتم صارح والديه بأنه وسوزان سوف يسهران مع أبناء النادي بالسيروكو، وتم تحذيره بالقطع من شرب أي مواد كحولية كالبيرة مثلا، أما أمجد فقد أخفى تماما عن والديه هذه السهرة، واكتفي بإخبارهم بذهابه للنادي الأهلي، آندي وإيما أخبرا والديهما بالذهاب للسيروكو للسهرة اليوم، وقد ارتدت إيما فستانًا قصيرًا ملونًا بالورد يناسب سنها كثيرا، وبالسيارة الجيب الحمراء توقفوا أمام معسكر النادي على الكورنيش لملاقاة أمنية وصديقتها أشجان وأخوها الأصغر محمد

الذي كان ذهابه شرطا للموافقة على السهرة، وهي رحّبت قطعا فهي تجربة لا يمكن التقاعس عنها.

اكتظت السيارة بالركاب وانطلقت للسيروكو تحمل ركابها وتسبقهم البهجة وتطفح من عيونهم الحماسة، حين توقفت السيارة أمام باب الدخول، وهموا جميعًا بترتيب هندامهم، قال لهم أمجد:

- عارفين السيروكو يعني إيه؟

- بالتأكيد لا.. أهو اسم وخلاص.

- لا، مش اسم وخلاص. السيروكو كلمة أصلها إيطالي يعني الريح الجافة الساخنة التي تهب فجأة من الصحراء..

ضحكوا جميعًا وصاح آندي كعادته دائما مفجرا ضحكاتهم جميعًا:

- إلى الحفلة الساخنة.

المكان جميل عبارة عن قاعة كبيرة تتوزع بها المناضد وحولها الكراسي، تتوسطها حلبة الرقص الخشبية المرتفعة قليلا عن الأرض، خلفهم مكان الفرقة الموسيقية بأجهزتها الخلابه، الدرامز، والأورج، الجيتارات والدفوف والسماعات الكبيرة تقبع على الكراسي في انتظار لاعبيها المهرة كالحواة الهنود، خارج القاعة شرفة كبيرة أيضا بها مناضد وكراسي تطل على مطروح ليلا حيث الأنوار المتناثرة البعيدة، حين حضر

رواد النادي الأهلي، امتلأت بهم الصالة، فدخل أعضاء الفرقة وبدءوا العزف مباشرة، أشهر الأغاني لتوم جونز وفرانشيسكو ميشيل وألفيس بريسلي وإلتون جون وفريق البيتلز، حتى أحدث الأغاني للفرق الجديدة كالأبا، أو التي غناها فريق البي جيز في فيلم "حمّى ليلة السبت" الذي خرج للنور منذ أيام قليلة بطولة جون ترافولتا النجم الجديد، شجع الزحام في حلبة الرقص على قيام الشباب للرقص معهم، حتى من لا يعرف منهم الرقص كأمجد تشجع ورقص مع إيما، وبدا أنها تقوده فعلا في الحلبة، بينما ساعد آندي المتمرس سوزان وأحيانا أشجان، لكن حاتم استأثر بالرقص مع أمنية تغمره نشوة بالغة بوجودها، لا يفصله عنها إلا بضع سنتيميترات، يشم رائحة عرقها بكل وضوح فينتشي بها كأنه نيل أرمسترونج في رحلته للقمر والنجوم دونا عن كل البشر.

في أوقات الراحات، تغمر الشلة حالة من السعادة ويعم المرح بينهم جميعًا، يعلقون على رقص أحدهم أو مدى تآلف راقص مع أخرى وتناغم حركاتهم سويّا على إيقاع الموسيقي والأغاني، وكانوا يتراهنون أهما متزوجان أم مخطوبان فقط، أم لم تتم خطبتهما بعد ما شجع حاتم أن يطرح سؤالا على كل منهم أن يجاوب عليه:

- إحنا سمعنا أغنية تينا تشارلز "أحب للحب لكن حبيبي يحب للرقص"

I love to love. But my baby just loves to dance

أحب أعرف رأي كل واحد فيكم.. ما الحب؟

بدا وكأن السؤال استحوذ على اهتمام الشلة كلها، وارتفعت العيون في محاجرها تفكر، ما الحب، بعد وقت ليس بالقصير تشجعت أشجان وافتتحت الإجابات بعفوية صادقة:

- الحب شعاع يخترق قلوب البشر بلا اختيار منهم، فجأة بدون أسباب يصعقهم. اسألوني أنا، أعتقد أننا ممكن نلاقيه مرة واحدة في العمر.. مرة واحدة بس.

سروا جميعًا لكلام أشجان، وأفشت أمنية لهم سرًّا لا يعرفه أحد، أن أشجان ستُخطب قريبا لشخص تحبه، فابتهجوا جميعا بهذا الخبر الجميل، فأضافت أشجان:

- ادعوا لي بابا يوافق، لأنه صعب قوي ومش بعرف أتفاهم معاه.

تمنوا لها جميعًا التوفيق والسعادة. قال أمجد بعدها مباشرة:

- أنا أعتقد أن الحب أسمى ما في الإنسان، هو التضحية من أجل آخر، مافيش بينك وبين حبيبك رابط حقيقي إلا إنك تفضله عن نفسك، وتتمنى حياته قبل حياتك تكون سعيدة.

نظرات الاستحسان نالت أمجد جراء هذا التعريف الراقي، وهنا أضافت سوزان بحياء ظاهر لوجود حاتم على ما يبدو.

- الحب هو سعادة وراحة تغمر الإنسان في وجود حبيبه، لكن أنا مش مع أشجان، حسب ما قريت ناس كتير بتلاقي الحب مرات ومرات.

أما إيما فقد أجابت وهي تفكر:

- الحب، فيه جزء جسدي أيضا، فيه نشوة، أَلَاَ تدق قلوبنا وتخفق بشدة؟ ألا نشعر بالدوار وجفاف الحلق؟ ونسعد بلمسة اليد وابتسامة الحبيب؟ كمان أنا مع سوزان، الحب مش لازم يبقى مرة واحدة في العمر.

هنا قال آندي:

- لطالما تساءلت ما الفرق بين الحب والصداقة، فالمشتركات بينهما كبيرة؛ الراحة والدعم والمناصرة والتضحية، لكن الحب يتميز بفرحة القرب من الحبيب، وأضاف وهو ينظر لأعلى تجنبا نظرات الاستغراب "والنشوة الجنسية"

زامت الشلة بمختلف الإيحاءات الموافقة والرافضة، وإن كان الرفض غالبا بين الفتيات ماعدا إيما.

اعترضت أمنية قائلة

- بس أنت كده بتقول إنه شيء مادي، عكس كل اللي اتقال عنه من زمان إن الحب هو تلاقي الأرواح.. روح واحدة وجدت نصفها الآخر!

أحضر النادل المشروبات، عصائر، وبعضهم طلب مأكولات خفيفة، أما آندي، فقد كان الوحيد الذي طلب بيرة ومعها صحن المَزات، عبارة عن ترمس وفول سوداني، فأقبل عليهم جميع الشلة وتركوا له البيرة يتجرعها وهم يتضاحكون عليه، وقام أمجد مبتعدا عن آندي ورائحته المميزة الذي استغلها فرصة للمرح، فعزم عليه وسط ضحكهم جميعًا.

عقب حاتم على كلام أمنية بحذر:

- أعتقد روح واحدة وجسدين هو من قبيل الفلسفة، العلم الحديث يرفض هذه الأفكار الآن، وحتى في ديننا فنحن لا نعرف ما الروح، الحب هو عاطفة قوية جدا فيها أحاسيس متعددة كالشعور بالسعادة والسلام والإعجاب والفرح في صحبة شخص معين، وهو ما يترجم في أجسامنا، كما فهمت من أحد أصدقاء والدي من الأطباء، عبر الهرمونات إلى أحاسيس جسدية كما قال إيما وآندي.

هنا صاحت أشجان بأسف:

- يعني مش روحين في زكيبة؟؟

انفجروا جميعًا ضحكًا ما عدا آندي وإيما، فلم يفهما بالقطع، حتى أفهمهما حاتم ما الزكيبة في التراث المصري، وكيف أنها دخلت في تراث الأغنية المصرية بغناء سيد درويش لها في أغنية الصهبجية:

"أنا وحبيبي روحين في زكيبة

يتعلموا منا الحبيبة

أما العوازل جتها رزية

يا صهبجية.. إيه يا لا للي"

عادت الفرقة للعزف من جديد، ولكن هذه المرة بأغنيات عربية قصيرة راقصة أشعلت المكان كله فرحا ورقصا وحجلا، خصوصا على الأغنيات اللبنانية الراقصة كأغنية ليندا الشهيرة هذه الأيام.

في الواحدة مساءً انتهى الوقت المسموح به لبقائهم في السيروكو، وكان هو موعد رحيل أعضاء معسكر النادي الأهلي نفسه كذلك، سلم جميع الشباب والشابات على بعضهم بعضًا كأنهم أصدقاء منذ أمد طويل، تناثرت الابتسامات والضحكات بينهم وبين شباب المعسكر وبينهم وبين كل المتنافسين معهم على الحلبة، بدا وكأن الانصهار في الموسيقى والغناء

يذيب الحواجز والمتاريس بين البشر، انقسموا أخيرا للعودة مجموعة النادي ومجموعة الجيب الحمراء بعد سهرة جميلة لا تُنسى.

13
مسيرة أنصار القذافي

قال والده بحزم:

- حاتم، السلطات المصرية عرفت إن مسيرة سيارات ليبية ضخمة سوف تعبر الحدود، القذافي باعتها كمطلب شعبي من أبناء الاتحاد العربي للسادات.

- وهما إيه طلباتهم؟

- مطالب كتير، لكن السلطات المصرية مش عاوزة تتعامل بعنف مع المسيرة، غالبا حيسيبوها تتقدم لمرسى مطروح، عشان كده مش عاوزكم تنزلوا وقتها.

- حاضر

- أنا عملت حسابي وجبت تموين البيت بزيادة.

- أنت هتبقى في الشغل؟

- آه طبعا، ممكن نبات هناك كمان، ربنا يستر.

تدخلت والدته:

- إن شاء الله خير، لا تقلق أنت علينا، متوقع امتى يصلوا مطروح؟

- غالبا سيعبرون الحدود في الصباح الباكر، ويصلوا مطروح في العاشرة مثلا.

في الصباح الباكر قام حاتم وسوزان، وبعد أن فطرا الفول بالزيت وجبنة بطماطم، وشربا شاي بالحليب، جلسا في الشرفة يترقبان المسيرة المنتظرة، لا يعرفان كيف ستكون السيارات وشكلها، المدينة تبدو في الظاهر لا مبالية بما سيحدث، لا يبدو أي شيء غريب في قيادة المنطقة الغربية العسكرية أمام المنزل، جلس هو وسوزان يلعبان الكوتشينة لعدة ساعات بلا أي جديد، أخيرا، قبيل الظهر بدأت تظهر سيارات ملاكي بأرقام ليبية، في البداية سيارات منفردة مسرعة إلى حد ما، كلها سيارات حديثة قوية، ربما ماركات لا تجري في شوارع مصر، مع الوقت السيارات تتزايد والسرعة تقل، فيها كثيرٌ من سيارات الدفع الرباعي وباصات شركات يابانية شهيرة، المسيرة كلها تعلق صور الرئيس الراحل جمال عبد الناصر مع الرئيس الليبي معمر القذافي، لم تعلق سيارة واحدة صورة للرئيس المصري الحالي أنور السادات، يخرج الشباب والشابات الليبين من نوافذ السيارات يهتفون "ناصر.. ناصر.. ناصر"، يلوحون بغصون الزيتون، أو يضعونها بلاصق على مقدمة السيارات، بعض الباصات بها سيدات وبنات فقط، السيارات والباصات بالمئات لا تنتهي، المسيرة كأنها

دودة من السيارات ممتدة على الطريق، أولها ربما عبر مطروح وآخرها لا يزال بها، حافلات كثيرة، لكن يركبها عدد قليل من المناصرين لتوجهات القذافي الناصرية، الساعات تمر، والعصر أذّن في المساجد، وما زالت السيارات والحافلات تتقاطر والهتاف لا ينقطع "ناصر.. ناصر.. ناصر"

جلس حاتم وسوزان ووالدتهما يتابعون المسيرة من أول وصولها لمطروح ظهرا حتى اتصل والدهم عصرا يطمئن عليهم، ردت عليه والدتهما:

-تمام لا تقلق، الأمور مستقرة، أبناء وبنات المسيرة ملتزمين بالسيارات يلوحون لنا، ويهتفون ناصر ناصر.

-أيوه عرفنا بالطبع، السلطات المصرية تركتهم بكل سلام، لكنها لن تسمح لهم بالذهاب أبعد من ذلك.

-هتوقفهم إزاي طيب.

ضحك وقال:

- بلدنا بقى واحنا عارفينها، فيه قطر متعطل عند مزلقان فوكة.

نظرا للطبيعة الجغرافية ووجود الهضاب، تتقاطع قضبان القطار مع الطريق الوحيد الممتد من مطروح إلى الإسكندرية عدة تقاطعات، منها تقاطع فوكة بعد رأس الحكمة المتجه للإسكندرية، وما يميز هذا التقاطع

أنه أسفل جبل ولا يمكن الهروب منه نظرا للطبيعة الصخرية القاسية الممتدة يمينا ويسارا، فإذا تعطل قطار في هذا التقاطع لا يمكن أبدا الهرب من الطريق، ولا يسع المسافر إلا الانتظار للنهاية، أو العودة من حيث أتى، هناك تعطل قطار أو بالأحرى تم تعطيله قصدًا في هذا المكان الفريد، لم تجد المسيرة بدا من الاستدارة والعودة لمدينة مرسى مطروح حيث الفنادق والبيوت والمساجد التي يمكن أن تستضيفهم، أو حتى الأماكن الملائمة لنصب الخيام وسهولة الحصول على أطعمة ومواد تموينية .

فوجئ حاتم بسيارة آندي تتوقف فجأة تحت بيته ويهبط منها مسرعًا قافزا درج المنزل، فتح له حاتم على عجالة، قائلا:

- خير؟ فيه إيه آندي؟

أجاب آندي وهو منفعل وبسرعة شديدة:

-أنا محتاج لك أنت وأمجد ضروري!

-خير، فيه مشكلة؟

-المشكلة إن العامل مريض اليوم، ومحل والدي فجأة أصبح عليه ضغط شديد في الشغل، الإقبال شديد من الليبين على الشراء، لازم حد يساعدنا!!

بدون تفكير دخل حاتم يفسر لوالدته الأمر التي انزعجت من نزوله المفاجئ، خاصة مع تحذيرات والده بعدم النزول، جدال هادئ يطمئنها فيه على أمانه مع الأصدقاء، وأن الموقف في كل المدينة على ما يرام، ارتدى ملابسه بسرعة، قام بالاتصال بأمجد على الهاتف الأرضي.

- أمجد محتاجينك ضروري حالا!

في خلال دقائق قليلة، كان أمجد أسفل المنزل، وقف حاتم وآندي يفهمونه الموقف، تسمر أمجد في الأرض، أصبح في حيرة شديدة، أفكار الدنيا كلها داهمته في ثوانٍ معدودات، واجبه نحو صديقه في هذه الأزمة، لديه رغبة عارمة في الذهاب، لكن ذهابه سيحتم عليه حمل صناديق الخمور من المخزن وتحميلها على السيارة، وإدخالها البار وهو يكره الخمور ودينه يحرم شربها وحملها، أحس حاتم بأزمته هو أيضا فصرخ فيه بحزم:

- إحنا بنساعد صديقنا، ليس لنا علاقة بالخمور.

قبل أن يرد صعد حاتم مسرعا للبيت، وعاد يحمل كوفية قطنية ودفعها لأمجد، قائلا:

- خد تلبس دي.

نظر أمجد للكوفية، لكنه لم يستطع أن يمنع دمعة هربت من عينيه، وقال وهو يجهش بالبكاء:

- أنا المرة دي خايف من ربنا مش من والدي.

لحظات صمت بدت طويلة، شعر حاتم وقتها أنه من المستحيل حضوره معهم في رحلة الإنقاذ هذه، فقال بهدوء:

- الشغل حيستمر بيك أو بدونك، خليك براحتك.

تركه حاتم وجلس بجوار آندي، الذي أدار المحرك وتحركت السيارة قليلا، فصاح أمجد:

- حاتم.. أنا بعرف أقود السيارة، خلوني أقودها فقط.

ابتسم حاتم ونظر لآندي الذي فهم الكلام وأشار بالإيجاب لحاتم الذي قال لأمجد:

- تمام، اطلع.

انطلقت السيارة للمخزن وهو ليس ببعيد عن البار، جلس أمجد بكوفيته خلف مقودها، المدينة الوادعة كانت مكتظة بسيارات المسيرة، التي وقفت في كل مكان تقريبا للبيع والشراء، معظم شباب المسيرة شعورهم طويلة وبعضهم يعلق صور عبد الناصر على صدره، صور الزعيمين، الراحل عبد الناصر، والليبي معمّر القذافي، في كل مكان،

دخل آندي وحاتم للمخزن مسرعين، يغيبون دقائق ثم يخرج كل منهما بصندوق كرتوني أبيض صغير ويضعه في السيارة من الخلف، مرات متعددة، وبدون أن يدري قام أمجد يرتب الصناديق بسرعة ويفسح المجال للمزيد منها، قرأ الشعارات عليها "جوني ووكر" "بلاك لابيل" "كافيشيولي وين"، فاستعاذ من الشيطان وقال في سره مخاطبا الصناديق الصغيرة "الله يخرب بيتك يا بعيدة"، انتهوا سريعا وقفز الشابان للسيارة، وقاد أمجد بهدوء حتى وصلوا للبار، قفز حاتم وآندي وأمجد يُناولهما الصناديق من فوق الجيب، أمجد يقف ويبتسم من خلف القناع غير مصدقٍ ما يحدث، وهو يتمتم من جديد "إن شاء الله يتلحسوا اللي يشربوها"، ثم جلس أمام عجلة القيادة ينتظر رحلة أخرى، تكررت الرحلة مرتين أو ثلاثة حتى فرغ المخزن تماما من العلب، فتنفس الصُعداء وجلس ينتظر أمام البار بالسيارة، لاحظ أحد الرجال يقترب منه بحرص قائلا بصوت هامس وبلغة ليست بدوية وابتسامة صفراء:

- نورتونا يا شباب، يرحم ناصر ورجاله.

استوعب أمجد أن الرجل يعتقد أنه من شباب المسيرة، فأجابه وهو يحاول أن تكون كلماته مثل لغتهم التي تعلمها من زملائه في المدرسة:

- باهي باهي، كيفك؟

- ما تبغي سهرة تمام؟

- كيف تمام؟

- اللي بدك فيه.

تجرأ أمجد فقال:

- فيه حريم؟

- أكيد، رقص وغناء وكل شيء.

- كيف نوصل؟

- نتقابل هنا

- تمام الساعة السادسة مساءً هنا، نحن ثلاثة، بكام؟

- ما نختلف، تدفع بالليبي استرليني مصري، ما نختلف.

أشار له أمجد بإصبعه الإبهام لأعلى علامة الموافقة فسأله الرجل:

- ما في عربون؟

- كيف عربون؟

- أي حاجة تحت الحساب، جدية حجز يعني.

- لا، من غير عربون.

أحبط الرجل لكنه قال بابتسامة باهتة:

- براحتك، مش حتندم، معادنا الساعة ستة.

سار الرجل وابتعد عن السيارة يتلفت حوله، وأمجد مذهول مما سمعه، لم يتخيل أن يعرض عليه أحد هذا العرض، لكن يبدو أن المسيرة الليبية عرّت كثيرًا من المختفي خلف الأقنعة، حين حضر صديقاه أخبرهما بما حدث فانفجرا ضاحكين، سألهما أمجد:

- حد فيكم جرّب؟

رد آندي:

- لا بالطبع، البائسون فقط هم من يفعلون هذا، الفعل الجنسي هو أرقى تواصل إنساني، لو تحول لفعل حيواني سيصبح جحيمًا.

أضاف حاتم:

- في الحقيقة النساء هم غالبا من يدفعون ثمن هذا الجحيم.

14
أشجـــان

هدأت المدينة الصغيرة بعد صخب يوم غير عاديّ في تاريخها القصير، عاد بعض أعضاء المسيرة لبلادهم في اليوم نفسه، بينما معظمهم أمتلأت بهم فنادق المدينة الصغيرة، ريفيرا، وريو وحميدة، وريم وغيرها من الفنادق الصغيرة، وأجر بعض المواطنين شققهم ليوم أو يومين للضيوف حلًّا للأزمة، وقضى بعض آخر ليلتهم في خيام اختاروا نصبها في مناطق بعيدة عن العمران، كما استطاعت السلطات توفير كميات من الأطعمة والخبز بشكل عاجل، حتى إنها أرسلت عدة طائرات هبطت في مطار مطروح تحمل الأغذية والخبز لأهل المدينة وزوارها، ولم تنتشر أي قوات إضافية من الشرطة أو الجيش في المدينة، وكان حديث المدينة لأسابيع طويلة عما اشتراه الليبيون من المدينة، وعما باعوه بأسعار بخسة، كان أكثرها الساعات الأنيقة، وبعض المشغولات الذهبية، التجار ربحوا مبالغ طائلة في هذا اليوم 20 يونيو 1977، يوم للربح والخسارة أيضا، فالعلاقات المصرية الليبية شهدت تدهورا ملحوظا، وصلت إلى حد

انفجار الموقف عسكريًّا، الطائرات الحربية تحلق دوما من مطار مطروح، وحركة المركبات العسكرية في تصاعد مستمر، الأنباء تتوالى عن الضربات المتبادلة بين الطرفين، التي سرعان ما هدأت بعد تدخلات سياسية عديدة لوقف القتال.

لا يمكن للأيام أن تمضي بلا أحداث جلَلٍ، فهدوء المدن لا يعني هدوء البشر فيها، فخطوات الحياة تمضي بلا كللٍ تدوس بأقدامها الثقيلة على من تدوس عليه من البشر بلا اكتراث، لم تمضِ أيام حتى اتصلت أم أمنية بوالدة حاتم وأخبرتها أن أمنية منهارة، فصديقتها أشجان أقدمت بشكل مفاجئ على الانتحار بإلقاء نفسها من سطح منزلهم بعد رفض والدها خطبتها من تقدم لها بعد أن عرف أنها تحبه.

الخبر المفاجئ والأليم كان مربكا لكل الأولاد والبنات، بكت سوزان وإيما كثيرا، أمجد وحاتم وآندي تمالكوا دموعهم، لكنهم لم يناموا ليلتين كاملتين، ولم يستطع أحد تذوق الطعام إلا بعد تدخل الآباء والأمهات وإجبارهم على سد رمقهم، ذهب حاتم وسوزان لتعزية أمنية التي ارتدت ملابس سوداء وتورمت عيناها من البكاء، تكلمت ببطء وهي تجفف دموعها التي لا تتوقف:

- أشجان كانت صديقتي الوحيدة، كانت طيبة جدا ولها شخصية حية، لم أكن أتخيل أبدا رحيلها بهذا الشكل، كانت كلها حيوية وأمل في زواج من أحبته بكل أدب واحترام، وهو تقدم لها، كان مدرسا لها في المدرسة، عرف عنها كل شيء طيب وإيجابي، تقدم لها ليخطبها، لكن والدها رفض لأنه عرف أنها تحبه، وهو في قاموسه الحب ضعف، بل عار، أصدر قراره وفي لحظة يأس وبدون أن تخبر أي أحد مطلقا، وصعدت لسطح عمارتها خلسة، ولم يشعر أحد بأي شيء إلا حين سمعوا صوت ارتطام جسدها الضعيف بالأرض بعد منتصف الليل، جثة هامدة، شهيدة الحب.

لم يكن للكلام أي معنى، واسوها بمشاعرهم الصادقة وتركوها تلعق جراح فقدها الأليم.

في المساء فضل حاتم وأمجد وآندي أن يجتمعوا، لكن هذه المرة على رمال البحر البيضاء في سكون الليل، وضربات الموج الرتيبة تربك أفكارهم أكثر مما هي مرتبكة، افتتح آندي الكلام:

- أنا متعجب من مجتمعكم، ما زال حتى الآن آباء يرفضون الخطبة والزواج، هذه أشياء انتهت في أوروبا من عشرات السنيين.

-في الأغلب الآباء يرفضون لعدم التوافق المادي أو الاجتماعي بين بنتهم أو ابنهم ومن يرغبون في الزواج منه.

-لكن ما عرفته عن وفاة أشجان أن الأمر لم يكن كذلك!

رد حاتم شاردًا في ظلام البحر:

- البيوت أسرار يا آندي.

- لكن في النهاية كلٌّ خسر، الأسرة خسرت بنتها، والبنت خسرت حياتها.

تدخل أمجد قائلا:

- في الشرق يا آندي الأسرة لها قوة كبيرة، غيركم، أنتم لديكم الحرية والفردية التي تجعل الشخص صاحب قرار نهائي، لكن هنا الرجال في الأغلب بيمشوا بأوامر آبائهم فما بالك بالبنات!

وأضاف حاتم:

- كل واحد وبخته ونصيبه، هل والديه متفاهمين، ولا كلهم عقد وكلاكيع.

استلقى آندي على ظهره، وتبعه حاتم وأمجد، أجسادهم على الرمال الناعمة تحتضنهم برفق، ووجوههم للقبة السماوية العامرة بالنجوم

المتلألئة، ترتعش أنوارها، تلمع وتخبو بلا كلل، طال الصمت بينهم وكلٌّ يحدق في السماء حتى سأل حاتم نفسه بصوت مسموع:

- يا ترى يا أشجان أنتِ أي نجمة فيهم؟

قال أمجد وهو يتنهد:

- الله يرحمها، أكيد كانت حزينة جدا وقتها.

- ياريتها كانت حزنت وصبرت، كانت دبدبت، صوتت، التخلص من الحياة مش حل لأي مشكلة.

أضاف آندي:

- هو في حقيقته حل للضعفاء جدا، أو بالأصح من يرون أنفسهم ضعفاء جدا.

عقب عليه حاتم:

-فعلا، أشجان لم تكن ضعيفة، لكنها اعتقدت ذلك فعلا، الحب مهم للحياة، لكن كانت ممكن تكافح شوية كمان، أو يكون سلاحها الزمن، فتتمسك بحبها، أو تجده ذهب مع الريح.

-الإنسان لما بيحب مش بيشوف في الدنيا غير حبيبه وبس.

وجد حاتم نفسه يدندن بأغنية حزينة غنتها شادية، بالذات صوت جوقة الرجال الحزين:

"مسافر مسافر

صحيت في يوم من الأيام

حسيت إني يا عيني غريب حسيت بغدر الصحاب

واللي فتكرته حبيبي.. وأنا ده أنا

أنا اللي ياما غنيت على الليالي

في الفرح موال وفي الجرح موال والصبر موال

أصبح على دي الحال غريب

أصبح أنا غريب غريب ولا حد جنبي قريب

قلت أسافر مسافر مسافر"

15
بعـد الطوفان

"الأرض لا تعود كما هي قبل الطوفان، ولا البشر"، كل شيء يختلف ويتغير، حين حضرت أمنية تزور حاتم وسوزان بناء على طلب مسبق منها، كانت جامدة، كفكفت دموعها المنسابة كالنهر، لكنها كانت واجمة أغلب الوقت، فقدت مرحها المتألق، كأنها كبرت سنوات كثيرة في بضعة أسابيع، كما فقدت من وزنها كثيرًا، كانوا يجلسون جميعا في شرفة البيت، تحججت سوزان بعمل الشاي كي تترك لهما الفرصة للحديث، بالفعل كأن أمنية كانت تنتظر هذه الفرصة لتعبر عن نفسها بحرية.

- عاوزه أشكرك يا حاتم على وجودك أنت وسوزان في حياتي الفترة الصعبة دي.

- لا أبدا، مافيش داعي للشكر، إحنا نعرفك من مدة وجيزة، لكن حقيقي مشاعرنا ليكِ كبيرة.

- هو ده اللي عاوزة أقوله لك حقيقي، أنتم ناس محترمين، وأنت شخصية ممتازة، بس مش حتصدقني لو قلت لك إن وفاة أشجان هزتني جدا،أنا نفسي مش عارفة إيه اللي حصل لي.

- أكيد مقدر يا أمنية، الله يرحمها..

أكملت أمنية ما تريد أن تقوله، وهي تمسح دموعها التي بدأت تنساب من جديد:

- أنا مع الأسف مش قادرة أعيش هنا تاني، على الأقل في الوقت ده، كلمت بابا إني أنقل السنة الجاية القاهرة وأعيش مع خالي هناك علشان أعرف أذاكر، وهو فعلا وافق، وبعد أيام قليلة هسافر إن شاء الله.

نزلت كلماتها على رأسه كالصاعقة، ولم يستطع الرد غير ببضعة كلمات محفوظة، لكنها أكملت:

- أنا مش هنسى أخ عزيز اسمه حاتم كتب لي كلمات جميلة في يوم من الأيام، وكنت بشوف في عيونه كل محبة واحترام.

أخرجت من حقيبتها ورقة صغيرة عرفها حاتم على الفور، وأخذت تقرأ فيها بهدوء:

"إلى من علمتني الطيران حين غنت، فحلقت في السماء بجمالها، سأنتظرك لآخر عمري.. حاتم"

ابتسم حاتم ولا يدري بماذا يرد، لكنها بادرت قائلة:

بطلب منك إني أحتفظ بالورقة دي، بس في الوقت نفسه بقولك أنت في حلّ من وعدك، لأني حقيقي لن أتحمل هذا العبء، أنا دراستي هتكون أهم حاجة في حياتي، وأتمنى لك كل الخير والسعادة في حياتك أنت كمان.

غالب حاتم دموعه المترقرقة في عيونه واستجمع شتات نفسه وهو يقول:

- طيب خلينا نتمهل، ونبقى نكلم بعض.

- احنا لسه قدامنا كتير يا حاتم، ما تعذبش نفسك.

تساقطت دمعة فعلا من حاتم مسحها سريعا، وقال بصوت متحشرج:

- اللي تشوفيه يا أمنية، لكن أنا عمري ما هنساكي أبدا، عمري.

ابتسمت أخيرا، وقبل أن ترحل سلمت عليهم بحرارة، تركت يدها في يده لأول مرة وآخر مرة، ونظرت في عيونه كأنها تنهل من نظراته المحبة لآخر مرة في حياتها.

تخطى حاتم الصدمة بكل شجاعة، حتى أمجد وآندي لاحظا ذلك وتساءلا بغرابة عن السر في هذه الصلابة، وكانت إجابته لهما أنه سوف يقابلها لاحقًا، لا يمكن أن يضيّع حبه لها هكذا في الهواء، فهي ليست مغامرة مراهقة مؤقتة، لكنها فعلا حب حقيقي، ستقبع هناك في قلبه، ربما بعيدة عن الأنوار لكنها ستظل باقية

.

*****

لم تمضِ أيام كثيرة حتى قال لهم آندي ذات يوم وهم مجتمعين في مقهى الشربتلي بشارع الإسكندرية:

- سأقول لكم شيئا مفاجئا.

نظر له حاتم وأمجد بريبة وشك متسائلين ماذا يمكن أن يكون مفاجئا بعد موت أشجان ورحيل أمنية، فقال حاتم وهو يتنهد:

- خير يا آندي، هاتِ ما عندك؟

قال آندي وتبدو عليه أمارات الحزن الحقيقيّة:

- والدي سيصفي عمله هنا.

صاح الشابان معا صيحة يمتزج فيها الرفض والدهشة:

- لا.

-مع الأسف، لقد مر والدي بأزمة قلبية منذ أيام قليلة، فبعد تلقيه تهديدات مكتوبة على رسائل بدون إمضاء تهدده فيها بالإيذاء إذا استمر فتح البار، لكنه تغاضى عنها وتجاهلها، لكن منذ أيام قليلة أوقفه ثلاثة شبّان بالسوق بجلابيب بيضاء ولحاهم طويلة وهددوه فعلا بحرق البار إن لم يرحل عن المدينة، وتركوا له مهلة شهر ليدبر حاله، أصيب بعدها بالأزمة القلبية، وأجبرته الدتي بعدها على اتخاذ القرار، حيث لابد من العودة لليونان للبعد عن المشكلات ولمتابعة صحته، كما أن أحوال العمل في هبوط، نحن غير مصدقين أننا تخلصنا من المخزون يوم المسيرة.

نظر حاتم لأمجد الذي فهم مغزى النظرة، وأومأ بالإيجاب له وقال أمجد حزينا:

- أكيد علاء وإخوانه، الأمور تتغير بسرعة شديدة، وفي النهاية جميعكم سترحلون وتتركوني هنا وحدي.

نظر له حاتم بعطف، وربت على كتفه بمودة قائلا:

- يبدو أن الرحيل مكتوب على بشر هذه المدينة الجميلة، لكن لا تنسَ، أنا في الإسكندرية، سنة واحدة وتلاقي نفسك في الكلية عندنا،

هنكون مع بعض، كمان اتفقنا مع آندي إننا هنزوره في اليونان وأحنا في الكلية، ممكن الصيف الجاي أو اللي بعده.

تدخل آندي وقال صادقا:

- طبعا، أنتم تيجوا في أي وقت، أنتم أصدقاء حقيقيين.

بعد أسابيع قليلة حضر حاتم وأمجد يوم وداع أسرة فوتي، سلم والدا آندي عليهما بحرارة، شدّدَا عليهما أن يقوما بزيارة اليونان يوما ما، ووعدوهما باستقبال يليق بصداقتهما لآندي وإيما، مع وعد بتبادل بطاقات التهنئة بالأعياد دوما، المحل كان خالٍ من أي أثاث أو زجاجات أو أدوات إلا من زجاجاتين من عصير البرتقال وبعض الفطائر والحلويات، تبادل الجمع الصغير كلمات الوداع، وترقرقت الدموع في المآقي، انفرد أمجد بإيما لدقائق معدودة فقال لها بلغة إنجليزية معقولة جدا:

- إيما الجميلة، تعلمت منك كثيرًا، أعجبت بيك وبشخصيتك، وأتمنى لك كل التوفيق.

- أنا كمان معجبة بيك، لكن ثقافتنا مختلفة كثير عن بعض، لكن بحترمك وبقدرك جدا، ياريت تحضروا يوما ما لأثينا تتعرفوا على بلدنا وحضارتنا العريقة أيضا.

ابتسم أمجد وأومأ برأسه:

- بالتأكيد سنحضر، ونطق باليونانية تا ليمي (Ta léme) إلى اللقاء..

انفجرت ضاحكة، ووضعت قبلة سريعة على خده، فأحمر وجهه وربت على ساعدها بمحبة.

انتهى اللقاء، وأمام البار كانت السيارة الجيب الحمراء قابعة تنتظر، تم تغطيتها لأول مرة بالغطاء الأخضر الزيتوني، فلم تعد مكشوفة، رتبوا حقائب السفر بها، سوف يقودها آندي للأسكندرية مع والده، أما والدته وإيما فسيلحقا بهما بالحافلة، لينهوا إجراءات السفر لبلادهم من هناك، احتضن آندي حاتم وأمجد بقوة حتى إيما حضنت حاتم سريعا، وكذلك فعلت أمها ونزلوا سلالم البار لآخر مرة في حياتهم يخفيان الدموع المترقرقة في عيونهم جميعا.

حضر حاتم وأمجد إغلاق الباب الخشبي الرئيس الكبير للبار بمزلاج حديدي عملاق، صَارَا بدون أن يدركا شاهدان على نهاية عصرٍ لهذة المدينة الصغيرة الجميلة وبداية عصر جديد.

*****

في التاسع عشر من نوفمبر عام ألف وتسعمائة وسبع وسبعين ميلاديًّا، كان حاتم وسوزان في بيتهما بالإبراهيمية بالأسكندرية، وأمجد يجلس على مقهى الشربتلي في مطروح، وأمنية ببيت خالها بمصر الجديدة بالقاهرة، وآندي وإيما في كافيه زونارس بأثينا، كانوا جميعا يجلسون مشدوهين أمام شاشات التلفاز يراقبون الحدث العالمي وهم غير مصدقين زيارة السادات التاريخية لإسرائيل، كان السادات مبتسمًا وشجاعًا ومفعمًا بالأمل.

أيمن حامد.
الإسكندرية 2020/8/20

رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

نشر كل إنتاج إبداعي بجودة عالية وأفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، حتى لا ينزف الوعي من ثقوب الذاكرة، بأعمال تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة، والسعي نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.